الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

مَجالسُ شَهْرِ رَمَضَانَ

إعداد

أحمد بن ناصر الطيار





«الْمُقَدِّمَةُ»

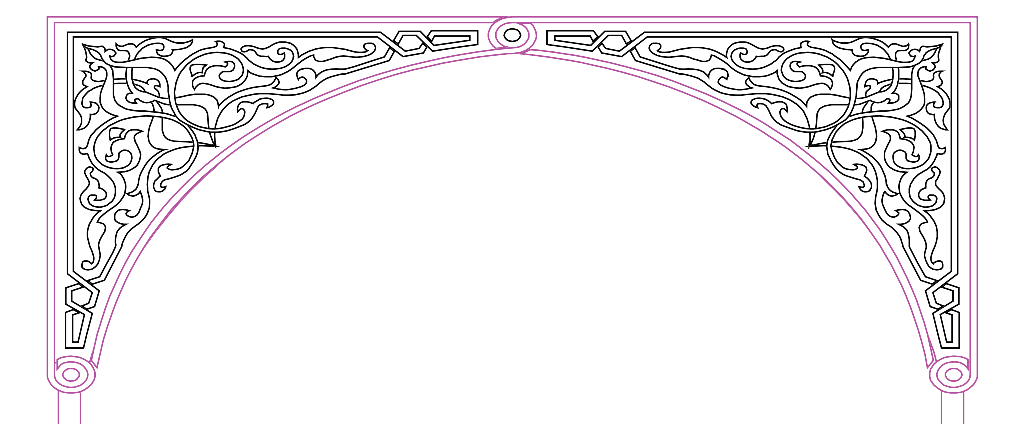
الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فهذه مجالس مُنوّعةٌ في الأخلاق والإيمان، والمواعظ والأحكام، ألقيتُها على مدى سنواتٍ عبر الخطب والدروس والمقالاتِ ونحوها، وراعيت فيها الوقت المناسب لإلقائها في شهرِ رمضان الْمُبارك، وجعلتها بأسلوب سهلٍ واضح.

أسأل الله تعالى أنْ يبارك فيها، ويجزي مَن كان سببًا في تأليفها، ومن قرأها وأهدى إليّ ما رآه من ملحوظات وأخطاء، فكلّنا بشر، والبشر عرضةٌ للخطأ والزلل.

والحمد لله الذي تتمّ بعمتِه الصالحات.

أحمد بن ناصر الطيار
إمام وخطيب جامع
عبد الله بن نوفل بالزلفي
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦



مجالسُ التراويح



المَجلسُ الأول

البشارةُ بحلول رمضان

الحمد لله الذي شرَّف هذه الأمةَ بشهر الصيام، فأجزل فيه الفضائلَ والإنعام، وفضَّل أيامَه على سائرِ الأيام، أحمدُه سبحانَه وأشكرُه، وأصلي وأسلمُ على خيرِ من صلى وصام، وعلى آله وصحبه أولي الخيرِ والإنعام، ومن تبعهم بإحسان صلاةً دائمةً ما تعاقبت الليالي والأيام.

أما بعد: فيا إخوة الإيمان، لقد حلّ علينا ضيفٌ كريم، أنزل الله فيه البركة، وأودع فيه المغفرةَ والرحمةَ، إنه ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أتى رمضانُ مزرعةَ العباد ... لتطهيرِ القلوبِ مِن الفسادِ
فأدِّ حقوقَه قولًا وفعلًا ... وزادَكَ فاتّخذْه للمعادِ
فمن زرع الحبوبَ وما سَقَاها ... تأوَّه نادمًا يوم الحصادِ

إنه شهرُ العتقِ من النيران، إنه شهرٌ تُصفد فيه مردة الشياطين، وتُغَلَّقُ فيه أبوابُ الجحيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضانُ فتِّحت أبوابُ الجنة، وغلِّقت أبواب النّار، وصفِّدت الشياطين**» متّفق عليه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**إذا كانت أوّلُ ليلة مِن رمضان صُفّدت الشياطين ومردة الجن، وغلِّقت أبوابُ النار فلم يفتَح منها باب، وفتِّحت أبواب الجنة فلم يُغلَق منها باب، ونادى منادٍ: يا باغي الخير**

أقبل، ويا باغيَ الشرّ أقصِر، ولله عتقاء من النّار، وذلك كلَّ ليلة».

إخواني: كم ذنبٍ قد اقترفناه، وكم جرمٍ قد ارتكبناه، وكم زلةٍ للسان وقعت، ونظرةٍ للعين قد تجاوزت، وسمعٍ للباطلِ منه الأذن قد أكثرتْ.

فها هو شهر الرحمة قد فتح الله لنا بابه، وزاح عنا حِجابَه، وأشرع بابَ التوبة للنادمين؛ فإن الله ﷻ يقول: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٠].

فيا أيها العاصي ـ وكلنا كذلك ـ: تُبْ إلى الله تعالى، وتذوّق طعم التوبة، وجرِّب حلاوة الدمعة، ولا تستعظم ذنوبك فربك أرحم بك من أمك، وعفوُه أوسع من ذنوبِنا.

اسْتمع إليه وهو يناديك في الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(١).

سبحانك ربي ما أعظمك، وما ألطفك، وما أرحمك، فضلُك إلينا نازل، وشرُّنا إليك صاعد، تمدُّنا بالخيرات والبركات، وبعضُنا يجاهرك بالمعاصي والمنكرات.

إخواني: دخل شهرُ رمضان ونحن في سعَةٍ وعافية وأمن، فكم قريبٍ لنا قد فقدناه، وكم عزيزٍ علينا قد دفناه، وكم حبيبٍ لنا في اللحد قد أضجعناه.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢١٥٠٥)، والترمذي (٣٥٤٠).

وها هو ربنا وخالقنا سبحانه، قد أبقانا رحمةً بنا وشفقةً علينا، علَّنا أن نتوب ونُنيب إليه.

يا ذا الذي ما كفاه الذنبُ في رجبٍ ... حتى عصى ربَه في شهر شعبانِ
لقد أظلَّك شهرُ الصومِ بعدَهَما ... فلا تصيِّره أيضًا شهرَ عصيانِ
واتلُ القرآن وسِّبح فيه مجتهدًا ... فإنه شهرُ تسبيح وقرآنِ
واحمل على جَسَدٍ ترجو النجاةَ له ... فسوف تُضرَمُ أجسادٌ بنيران
كم كنت تعرفُ ممن صاَم في سلَفٍ ... من بين أهلٍ وجيرانٍ وإخواني
أفناهم الموتُ واستبقاكَ بعدَهُمُ ... حيًّا فما أقربَ القاصي من الداني

وليحذر الصائمُ مما أعدّه أهلُ الانحلال، ودعاةُ الفساد والضّلال، من برامج مضِلّة، ومشاهدَ مخِلّة، فهم قومٌ مفسدون لا يبَالون ذمًّا، ومضلون لا يخافون لَومًا، ومجرِمون لا يراعون فطرًا ولا صومًا، أذاقوا الشباب صنوف الفساد، وجمعوا لهم كلّ ما يُلْهيهم ويُشغلُهُم عن ربّهم، فلم يتلذذوا بطاعة، ولم يهنئوا براحة، وهم مع ذلك يتجرعون آلام المعصية.

إنّ رمضان خيرُ الشّهور، فحذارِ حذار من انتهاكِ حرمتِه، وتدنيس شرفِه، وانتقاصِ مكانتِه، يقول رسول الهدى: «**من لم يَدَع قولَ الزّور والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابه**» أخرجه البخاري.

اللَّهُمَّ اغفر ذنوبنا كلّها، دقها وجُلّها، ما علمنا منها وما لم نعلم، إنك جوادٌ كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبِه أجمعين.



المَجلسُ الثاني

أهمية تدبر القرآن

الحمد لله الذي جعل القرآن هدىً للناس وشفاءً، ونورًا وضياء، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، القائلُ في محكم كتابه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسولُه، صلى الله عليه وعلى إلٰه وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: **فيا إخواني**: ونحن في هذا الشهر العظيم، شهرِ القرآن، حيث أُنزل القرآن فيه، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]: حريٌ بنا أن نتلو كتاب ربِّنا في هذا الشهر الْمُبارك، ونقرأه قراءةَ تدبُّر وتمعن.

ونعوذ بالله من أنْ نزهد فيه، وفي فهمه وحفظه، وهو كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبأُ مَنْ قَبْلَنا، وَخَبَرُ مَا بَعْدَنا، وَحُكْمُ مَا بَيْنِنا، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، ومَنِ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢]، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ

وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

وإياك ـ أيها المؤمن ـ وقراءةَ القرآن بلا تدبُّرٍ ولا تفهُّم؛ فإن هذا من هَجْرِ القرآن والعياذ بالله، ولا يكن همك: (كم مرَّةً ختمت)، بل: (كم آيةً فهمت)، فإن الحكمة من إنزال القرآن: هي تدبُّرُه والعمل به، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وتأمَّلُوا ـ رحمكم الله ـ كيف كان نبيُّنا وقدوتُنا ﷺ يقرأ القرآن، فعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةً فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، قَالَ: ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُسْتَرْسِلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ».

وهكذا كان أصحابه رضي الله عنهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لأنَ أقرأ البقرة في ليلة وأتفكّر فيها أحبُّ إلي من أن أقرأ القرآن هذْرمةً؛ أي: أُسرعَ في القراءة بلا تدبُّر[1].

وقال محمد بن كعب رحمه الله: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ لا أزيد عليهما، وأفكر فيهما وأتردّد أحبُّ إلي من أن أهذّ القرآن هذًّا[2].

وقال أبو عبدِ الرحمٰن السُّلمي رحمه الله: أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنّهم كانوا إذا تعلَّموا عَشرَ آياتٍ لم يجاوزوهُنَّ إلى العَشر الأُخَرِ حتى يعلمُوا ما فيهنّ، فكُنَّا نتعلّم القرآن والعَملَ به، وسيرِثُ القرآنَ بعدنا قوم

(١) صفة الصفوة ١/ ٣٧٢

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٤٧٤

يشربونَهُ شرب الماء لا يجاوزُ تراقِيَهُم[١].

فهكذا كان حال نبيِّنا الكريمُ ﷺ، والصحابةِ والتابعين، القراءةُ بتدبر وتفهم وتمعُّنٍ، لا هَذْرَمةٍ واستعجال، ولذا، وجدوا للقرآن حلاوةً وأنسًا، وإيمانًا وخشوعًا.

هكذا كان حالهم مع القرآن، يتلذذون ويخشعون عند سماعه، حالهم كما قال مالكُ بنُ دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الصّدّيقين إذا قرئ عليهم القرآن طَرِبَتْ قلوبهم إلى الآخرة[٢].

إنه الأُنس بالقرآن، فوالله لو ذاقت قلوبُنا حلاوة القرآن، لما شبعت منه.

وقد كان السلف الصالح مع تدبّرهم للقرآن، حريصين كل الحرص على تلاوته، والإكثار من قراءته وختمه، فهذا أحد السلف لما حضرته الوفاة بكَتْ بنتُه، فقال: لا تبكي يا بُنَيَّة، فقد ختمتُ القرآن في هذا البيت أكثر من ألف خَتمة[٣].

وكان قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة. فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة[٤].

وكان الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يختمُ في رمضان في النهار كُلَّ يومٍ خَتمة ويقومُ بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بخَتْمَة[٥].

(١) السير (تهذيبه) ١/ ٤٩٥
(٢) صفة الصفوة ٣/ ٢٠٤
(٣) السير (تهذيبه) ٢/ ٧٩٦
(٤) الحلية (تهذيبه) ١/ ٤١٠
(٥) السير (تهذيبه) ٣/ ١٠١٥

فهكذا جَمَعُوا بين فَهْم القرآن وحفظه وتلاوته.

فحريٌّ بنا **معاشر الصائمين:** أن نعيش مع القرآن في هذا الشهر المبارك، إنها فرصةٌ عظيمةٌ قد لا تتكرر لأحدنا مرة أخرى.

اللَّهُمَّ اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وأُنسنا وراحتنا، إنك على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على رسوله، وعلى إلٰه وصحبه أجمعين.





المَجلسُ الثالث

وسائل تدبر القرآن

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيءٍ وهدى للمتقين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله الملكُ الحقُّ المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه والتابعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: **إخواني**: كان الحديث في الْمجلس السابقِ، عن أهميّة تدبر القرآن العظيم، وسيكون الحديث هذا اليوم عن وسائل تدبر القرآن.

وإنّ تدبر القرآن من أعظم ما يزيد المسلمَ إيمانًا وأُنسًا، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: في تدبر القرآن وتفهمه من مزيد العلم والإيمان ما لا يحيط به بيان(١). اهـ.

وقال بعض السلف: لم نجد شيئًا أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلابًا للحق، من قراءة القرآن لمن تدبره(٢).

ولِتدبُّر القرآن وسائلُ كثيرةٌ منها:

أولًا: أنْ تستشعر حين تقرأه أنه كلام الله جلَّ وعلا، قال بعض السلف: كنت أقرأ القرآن ولا أجد له حلاوة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتيه من رسول الله ﷺ، فجاءت حلاوة قليلة، فقلت لنفسي: اقرئيه

(١) مجموع الفتاوى: ١٠/ ٨١
(٢) حياة السلف بين القول والعمل: ٢٣٤

كأنك سمعتيه من جبريل عليه السلام حين يخبر به النبي ﷺ، قال: فازدادت الحلاوة، ثم قلت لها: اقرئيه كأنك سمعتيه حين تَكَلَّمَ به سبحانه. قال: فازدادت الحلاوةُ كلُّها[(١)].

فما أجمل أن تُطبّق هذه التّجْرُبَةَ، فحينها ستجد للقرآن حلاوةً وتأثيرًا.

ثانيًا: أن تستشعر حين قراءتك للقرآن: أن الله تعالى بعظمته وكبريائه: يخاطبك أنت، وأنك من المعْنِيِّين في أوامره ونواهيه، فتحس بقُرْبِ الله منك، واطِّلاعه عليك، فحينما تقرأ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فأنت من عباد الله المؤمنين، فكأن الله تعالى يقول لك: يا عبدي: اتق الله واحذره، اتّق غضبه وبطشه وانتقامه، فإني عزيز ذو انتقام، وكن يا عبدي مع عبادي الصادقين، الصادقين بأقوالهم وأعمالهم، واحذر الكذب والرياء والنفاق، فحينها ستجد للقرآن طعمًا لم تعهده من قبل.

ثالثًا: أن يكون معك مصحف بهامشه التفسير، كَزُبْدَةِ التفسير مثلًا، فإنه تفسير واضحٌ سهل، فكلما قرأت وجهًا من كتاب الله، قرأت تفسير هذه الآيات، فتفهم معناها، وتَعْقِلُ المراد منها، وليس هذا بكثيرٍ على كتابِ ربِّ العزة والجلال، الذي أمرك حتْمًا بفهمه والعمل به، وأسأل نفسك، كم تمكث أمام الشاشات أو الجرائد من الساعات، أَوَلا يستحق كتاب الله أن تعطيه جزءًا من وقتك؟

رابعًا: أنْ تقرأه بنية العمل به، والاستشفاء به، وتلمس أوجه البلاغة والعظمة منه، ومعرفة أسراره وأوجه إعجازه، فإنك إذا قرأته بهذه

---

(١) الحلية (تهذيبه) ٣/ ٦٩

النية الصادقة، حريٌّ أن يُضاعف الله لك أجر القراءة، وستجد أثر ذلك في صلاح قلبك، وشدة وجلك.

أما أنْ تقرأه لا تُريد به إلا أجر تلاوته، فلن تنال إلا اليسير من الأجر والأثر على قلبك.

خامسًا: أنْ تقرأ القرآن قراءةً صحيحةً مُجوَّدة، فإنّ ذلك يُعين على التدبر والخشوع، وهو من أعظم اللذاتِ والمتع، ولذلك لا يكاد يشبع أهل التجويد من القرآن، ويتغنّون به، ويطربُ له من سمعه، قال ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مُجَوَّدًا مُصَحَّحًا كَمَا أُنْزِلَ تَلْتَذُّ الأَسْمَاعُ بِتِلَاوَتِهِ، وَتَخْشَعُ الْقُلُوبُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ، حَتَّى يَكَادَ أَنْ يَسْلُبَ الْعُقُولَ وَيَأْخُذَ الأَلْبَابَ؛ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللهِ تَعَالَى يُودِعُهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا مِنْ شُيُوخِنَا مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حُسْنُ صَوْتٍ وَلَا مَعْرِفَةٌ بِالأَلْحَانِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ جَيِّدَ الأَدَاءِ قَيِّمًا بِاللَّفْظِ، فَكَانَ إِذَا قَرَأَ أَطْرَبَ الْمَسَامِعَ، وَأَخَذَ مِنَ الْقُلُوبِ بِالْمَجَامِعِ، وَكَانَ الْخَلْقُ يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ، وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى الِاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، أُمَمٌ مِنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ، يَشْتَرِكُ فِي ذَلِكَ مَنْ يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّ وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ مِنْ سَائِرِ الأَنَامِ، مَعَ تَرْكِهِمْ جَمَاعَاتٍ مِنْ ذَوِي الأَصْوَاتِ الْحِسَانِ، عَارِفِينَ بِالْمَقَامَاتِ وَالأَلْحَانِ، لِخُرُوجِهِمْ عَنِ التَّجْوِيدِ وَالإِتْقَانِ[١]. اهـ.

اللَّهُمَّ تقبل صيامَنا واجعلْه شافعًا لَنَا، واغفْر لَنَا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلَّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



(١) النشر: ١/ ٢١٣.



المَجلسُ الرابع

مسائل في الصيام

الحمدُ لله الَّذي لا مانعَ لما وَهَب، ولا مُعْطيَ لما سَلَب، طاعتُهُ للعامِلِينَ أفْضلُ مُكْتَسب، وتَقْواه للمتقين أعْلَى نسَب، وأشهَدُ أن لا إلٰه إلَّا الله وَحْدهُ لا شريكَ لَهُ هزَمَ الأحْزَابَ وَغَلَب، وأشْهَدُ أن محمدًا عبدهُ وَرَسُولهُ الَّذي اصْطَفاه الله وانتَخَبَ، صلَّى الله عَلَيْهِ وعلى إلٰه وأصحابه الذينَ اكتسبوا في الدِّيْنِ أعْلَى فَخْرٍ ومُكْتسَب، وعلى التَّابِعين لهم بإحْسَانٍ ما أشرق النجم وغَرَب، وسلَّم تسليمًا.

أما بعد: **إخواني**: جعل الله تعالى من حِكم الصيام أن نتقيَه، ولا يُمكن لنا أن نتقيه إلا بمعرفة أحكامه، وما أمرنا به وما نهانا عنه.

وهذه هي أهم المسائل فيما يَحِلُّ ويَحرم علينا، وما هي الأشياء التي تُفطِّر والتي لا تُفطر.

فمن وعاها فقد أراح المفتين من السؤال، وتبصَّر في دينه وسار على أحسن حال.

والمفطرات ثمانيةٌ، وهي:

أولًا: الأكل عمدًا.

ثانيًا: الشرب عمدًا.

ويدخل في ذلك، أن يتناول شيئًا يصل إلى الجوف عن طريق الأنف، كالقطرة مثلًا إذا وصلت إلى الجوف، لقول النبي ﷺ للقيط بن

صَبِرة: «**وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**»(١).

لكن لو قطَّر ولم يبتلعها فلا يُفطر.

ثالثًا: الجماع.

وهذه الثلاثة هي أصول المفطرات، وقد ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقد أجمع العلماء على أن هذه الثلاثةَ تُفسدُ الصوم.

رابعًا: إنزال المني بشهوة، ودليله قوله تعالى في الحديث القدسي في الصائم: «**يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي**»(٢).

خامسًا: ما كان بمعنى الأكل والشرب، وهو الإبر المغذية، التي يُستغنى بها عن الأكل والشرب.

أما الإبر التي لا تغذي، ولا تقوم مقام الأكل والشرب فهذه لا تفطر، سواءٌ تناولها الإنسان في الوريد، أو في العضلات، أو في أي مكان من بدنه.

قال العلامةُ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: لا أعرف إبرًا إذا اسْتُعملت أفطرتِ الصائم، غيرَ إبر التغذية(٣). اهـ.

سادسًا: القيءُ عمدًا، لقول النبي ﷺ: «**من استقاء عمدًا فليقض، ومن ذرعه القيء فلا قضاء عليه**».

سابعًا: الحجامة، لقول النبي ﷺ: «**أفطر الحاجم والمحجوم**».

---

(١) رواه الترمذي وصححه (٧٨٨)، وأبو داود (٢٣٦٦)، وغيرهما.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٣).

(٣) الفتاوى ١٩/ ٢١٧.

رواه أبو داود[١] وصححه الألباني.

والحكمة من ذلك: أن الْمَحجوم إذا خرج منه دم الحجامة، أصاب بدنَه الضعف، فيحتاج إلى غذاء ليسترد قوته ونشاطه.

فإذا كانت هذه هي الحكمةُ والعلة، فكلُّ مَنْ تعمد إخراج الدم الكثير فإنه يُفطر، كما لو تعمّد الرعاف فخرج الدم من أنفه.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما مغالاة العامة، حيث إن الإنسان لو استاك وأَدْمت لِثَّته قالوا: أفطر، ولو حك جلده حتى خرج الدمُ قالوا: أفطر، ولو قلع ضرسه وخرج الدم قالوا: أفطر، ولو رعف بدون اختياره قالوا: أفطر، فكل هذه مبالغة[٢]. اهـ.

ثامنًا: خروج دم الحيض والنفاس، لقول النبي ﷺ في المرأة: «**أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم**».

اللَّهُمَّ وفِّقْنا لاتِّبَاعِ الهُدى، وجنِّبنَا أسْبَاب الهلاكِ والردَّى، واجعل شَهرنَا هَذَا لَنَا شهرَ خيرٍ وبركةٍ، وأعِنَّا فيهِ على طاعتك، وجنِّبْنا طرقَ معصِيتك، واغْفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتِك يا أرْحَمَ الراحمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى إلٰه وأصحابِه والتابعينَ لهم بإِحسانٍ إلى يومِ الدِّين.



(١) (٢٣٦٩).

(٢) الشرح الممتع ٦/ ٣٨٣.



المَجلسُ الخامس

الأشياء التي لا تُفطّر، وشروط بطلان الصوم

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، من هداه فهو السعيد، ومن أضله فهو الطريد البعيد، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، أشرف من أظلت السماء، وأكرم من أقلَّت البيداء، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى إلٰه وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الوعيد.

أما بعد: **إخواني**: كان الحديث في الجلسة الماضية عن مُفسدات الصوم، وسيكون الحديث اليوم عن أشياء لا يفطر بها الصائم، ونذكر منها ما يلي:

أولًا: الحقنُ الشرجيّة، وهو إدخال الأدوية عن طريق الدبر، أو ما يُسمى بالتحاميل.

لأنه ليس بأكل ولا شرب.

ثانيًا: قطرة العين والأذن والاكتحال، ولو وصل طعمها إلى الحلق؛ لأنه لا يسمى أكلًا وشربًا، ولا بمعنى الأكل والشرب(١).

وكذا لو أدخل المريض منظارًا إلى معدته، فإنه لا يفطر، إلا أن يكون في هذا المنظارِ دُهنٌ أو نحوُه، يصل إلى المعدة بواسطة هذا المنظار، فإنه يكون بذلك مفطرًا.

(١) فتاوى ابن عثيمين ١٩/٢٠٦.

ثالثًا: القيءُ بلا عمدٍ لا يُفسد الصوم.

رابعًا: خروجُ المذيِ ليس مفسدًا للصوم أيضًا.

خامسًا: خروجُ المذيِ أو المنيّ بسبب التفكير فقط لا يَفسد به الصوم.

سادسًا: الاحتلام، والغسل، والمضمضة، والاستنثار.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: لو يبس فم الصائم، كما يوجد في أيام الصيف، فيتمضمض من أجل أن يبتلَّ فمه، أو تغرغر بالماء ونزل إلى بطنه، فلا يفطر بذلك؛ لأنه غير مقصود، إذ لم يقصد الإنسان أن ينْزِلَ الماء إلى بطنه، وإنما أراد أن يبل فمه، ونزل الماء بغير قصد. اهـ[(١)].

سابعًا: استعمال بخاخ الربو؛ لأنه شيء يتطاير ويتبخر ويزول، ولا يصل منه جُرم إلى المعدة[(٢)].

ثامنًا: من حصل له شيء من المفطرات بلا قصد، فصومه صحيح ولا إثم عليه، مثل أن يتمضمض فيبلع شيئًا من الماء بلا قصد[(٣)].

واعلموا إخواني، أنَّ من أكل أو شرب شاكًّا في طلوع الفجر، فصومه صحيح، ولو تبيَّن طلوع الفجر بعد ذلك؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فمن لم يتبيَّن ويتأكد، أو يغلب على ظنه طلوعُ الفجر: فله أن يأكل ويشرب.

وهذا بخلاف ما لو أكل شاكًّا في غروب الشمس؛ أي: أنه أفطر دون تحقُّقٍ أو غلبة ظن، فهذا لا يصح صومه؛ لأن الأصل بقاء النهار.

---

(١) الشرح الممتع ٦/ ٣٩٣.
(٢) الفتاوى ١٩/ ٢٠٩.
(٣) فتاوى ابن عثيمين ١٩/ ١٩١.

لكن إنْ تيقن، أو غلب على ظنه أن الشمس قد غربت، فله أن يفطر، ولو تبين أنها لم تغرب فلا قضاء عليه.

إخواني: كلّ من ارْتكبَ أيَّ مُفطِّر أو مفسدٍ للصوم، فإنه لا يبطل إلا بشروط ثلاثة: العلم، والتَّذكر، والقصد.

الأول: أن يكون عالمًا بالحكم الشرعي، وعالمًا بالحال؛ أي: بالوقت، فإن كان جاهلًا بالحكم الشرعي، أو جاهلًا بالوقت فصيامه صحيح، لقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال الله تعالى: «**قد فعلت**» رواه مسلم[١].

ولثبوت السُّنَّة في ذلك، ففي «صحيح البخاري»[٢]، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «أفطرنا في عهد النبي ﷺ في يوم غيم، ثم طلعت الشمس» ولم ينقل أن النبي ﷺ أمرهم بالقضاء؛ لأنهم كانوا جاهلين بالوقت، حيث ظنوا أنهم في وقت يحل فيه الفطر.

لكن متى علم أن الشمس لم تغرب، وجب عليه الإمساك حتى تغرب، ومثل ذلك، لو أكل بعد طلوع الفجر، ظانًّا أن الفجر لم يطلع، ثم تبين أنه طلع، فإنه لا قضاء عليه، لكن متى علم أن الفجر طلع، وجب عليه الإمساك.

وأما التذكر فضده النسيان، فمن تناول شيئًا من المفطرات ناسيًا فصيامه صحيح تام، لقول النبي ﷺ: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**» لكن متى تذكر، أو ذكَّره أحد وجب عليه الإمساك.

---

(١) (١٢٦).

(٢) (١٩٥٩).

وأما القصد فهو: الاختيار، وضده: الإكراه وعدم القصد، فمن أُكره على شيء من المفطرات، ففعل فلا إثم عليه وصيامه صحيح، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

نسأل الله أن يرزقنا الفقه في دينه، والعلمَ بحلاله وحرامه، والثبات على شرعه ودينه، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى إلٰه وأصحابِه والتابعينَ لهم بإِحسانٍ إلى يومِ الدِّين.





المَجلسُ السادس

آداب الدعاء، وأسباب الإجابة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: **إخواني**: إنّ الله تعالى عوّد أولياءه بأنْ يُجيب دعاءهم، ويكشفَ كربهم، ولقد ذكر الله تعالى في كتابه الكثير من ذلك، وكيف أنه لم يُخيب رجاءهم، ويردَّ دعاءهم.

وقد ذكر الله تعالى أنّ أَيُّوبَ عليه السلام ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فجاء الردّ سريعًا: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

ثم ذكر ذَا النُّونِ أَنَّه نَادَى ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فجاء الردّ سريعًا: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

ثم ذكر دعاء زَكَرِيَّا له ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]. فجاء الردّ سريعًا: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثم ذكر تعالى سبب إجابةِ دعائهم، وتعجيلِ الفرج لهم بقوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

فمن كان يُسارع في الخيرات، ويُسابق إلى الأعمال الصالحات، ويدعو الله رغبةً في رحمته وثوابه، وخوفًا من سخطه وعذابه، وهو مع هذا كله ذليلٌ متواضعٌ لربه، راضٍ بقضائه وقدره: فهو الذي لا يُردّ دُعاؤه، ولا يخيب رجاؤه.

وقِصصُ الذين أجاب الله دعاءهم لا تُحصى، فلْنتعرَّف على آداب الدعاء، التي بها يُجيب الله دعاء المظلوم، ويكشف كرب المكروب، ويُغيث الملهوف، ويفرجُ به الكربات، ويقضي به الحاجات.

وآداب الدعاء كثيرةٌ أذكر أهمّها ـ غير ما تقدّم ـ:

أولًا: أنْ تدعو الله تعالى بإخلاصٍ وإيمان وحضور قلب، وهو تعالى يُجيب دعاء المخلص حال إخلاصه ولو كان مشركًا، قال تعالى عن المشركين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

ومما يُلاحظ على كثير من الناس في دعائهم: أنهم لا يستشعرون التضرع والتذلل لله، بل يدعونَ اللهَ وهم في غفلةٍ عن التفكر في الدعاء ومُناجاة الله، بل إنّ بعضهم يتثاءب وهو يدعو! وبعضُهم يدعو وهو شارد الذهن، أو يُفكر في أمرٍ من أُمور الدنيا!

وهذا خلاف التضرع والتذلل الذي أمر الله به.

ثانيًا: أنْ ترفع يديك كحال السائل المستجدي، وتبدأُ دُعاءك أولًا بحمد الله والثناء عليه، ثُمَّ تصلّي على النبي ﷺ، وتختتمُ دعاءك بذلك.

وأما مسحُ الوجهِ باليدين بعد الانتهاءِ من الدعاءِ فليس فيه سُنَّةٌ ثابتةٌ عن النبي ﷺ، لكن لو فعل ذلك أحيانًا فلا يُنْكر عليه.

ثالثًا: أنْ تدعو الله وأنت عازمٌ بالمسألة، موقنٌ بالإجابة.

«وَلِهَذَا نُهِيَ الْعَبْدُ أَنْ يَقُولَ فِي دُعَائِهِ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ،**

وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»[١].

وقد روى التِّرْمِذِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ**».

ويقينك بأن الله سيستجيب دعاءك هو من إحسان الظن به سبحانه، وقد قَالَ اللهُ ﷻ في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي**» متفق عليه[٢]

فالله معك ومُؤيدك إذا دعوته بصدقٍ وإخلاصٍ وحسن ظنٍّ به سبحانه.

رابعًا: أنْ يكون طعامك وشرابك حلالًا طيّبًا، وقد ذَكَرَ النبي ﷺ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ: «**أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا ربِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فقد ذكر أنّ آكل الحرام يبعُدُ أنْ يُستجاب له، مع أنّ هذا الرجلَ يُلح بالدعاء وهو مسافر مضطر.

خامسًا: الإلحاح بالدعاء، وعدمُ اليأس والملل، وَقد نُهِيَ العبدُ أَنْ يَسْتَعْجِلَ وَيَتْرُكَ الدُّعَاءَ لِاسْتِبْطَاءِ الإِجَابَةِ، وَجُعِلَ ذَلِكَ مِنْ مَوَانِعِ الإِجَابَةِ، حَتَّى لَا يَقْطَعَ الْعَبْدُ رَجَاءَهُ مِنْ إِجَابَةِ دُعَائِهِ وَلَوْ طَالَتِ الْمُدَّةُ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ[٣].

«ومَا دَامَ الْعَبْدُ يُلِحُّ فِي الدُّعَاءِ، وَيَطْمَعُ فِي الْإِجَابَةِ مِنْ غَيْرِ قِطْعِ

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).
(٢) البخاري (٧٥٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).
(٣) جامع العلوم الحكم لابن رجب.

الرَّجَاءِ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْإِجَابَةِ، وَمَنْ أَدْمَنَ قَرَعَ الْبَابَ، يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ»[١].

نسأل الله تعالى أنْ يُجيب دعاءنا، ويكشف كربنا، ويُحسن ختامنا، إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله وسلم على رسوله، وعلى إلٰه وصحبه أجمعين.



(١) جامع العلوم الحكم لابن رجب.



المَجلسُ السابع

الأدب السادس من آداب الدعاء

الحمدُ للهِ الذي أنشأَ وبَرَا، وخلقَ الماءَ والثَّرى، وأبْدَعَ كلَّ شَيْء وذَرَا، أحْمَدُه على نعمه التي لا تَزَالُ تَتْرَى، وأصلِّي وأسَلِّم على نبيِّه محمدٍ المبْعُوثِ في أُمِ القُرَى، صلَّى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابِه الذين انتَشَرَ فضلُهُمْ في الوَرَىَ، وسَلَّمَ تسليمًا.

أما بعد: **إخواني**: كان الحديث في الَمْجلسِ الماضي عن آداب الدعاء، وبقي منها أدبٌ عظيمٌ هو من أهم الآداب وأعجبها، وهو أنْ تدعو الله بخفيةٍ وإسرار، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، ما كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم.

وذلك أن الله تعالى قال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وحينما ذكر عبده زكريّا عليه السلام، قال عن دعائه وتضرُّعِه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

وقد ثبت في «صحيح مسلم»[1] أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ**».

فمن كان أتقى الناس قلبًا، وأغناهم نفسًا، وأخفاهم عملًا وحالًا: فهو المحبوب الْمُقرّب من الله.

وَفِي إخْفَاءِ الدُّعَاءِ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ[2]:

---

(١) (٢٩٦٥).

(٢) يُنظر: فتاوى شيخ الإسلام: ١٥/ ١٥ ـ ١٧.

أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ إيمَانًا؛ لأَنَّ صَاحِبَهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ الْخَفِيَّ.

وثَانِيهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ فِي الأَدَبِ وَالتَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّ الْمُلُوكَ لَا تُرْفَعُ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُمْ، وَمَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ لَدَيْهِمْ مَقَتُوهُ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى، فَإِذَا كَانَ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ الْخَفِيَّ، فَلَا يَلِيقُ بِالأَدَبِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا خَفْضُ الصَّوْتِ بِهِ.

وثَالِثُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ، الَّذِي هُوَ رُوحُ الدُّعَاءِ وَلُبُّهُ وَمَقْصُودُهُ، فَإِنَّ الْخَاشِعَ الذَّلِيلَ، إِنَّمَا يَسْأَلُ مَسْأَلَةَ مِسْكِينٍ ذَلِيلٍ، قَدْ انْكَسَرَ قَلْبُهُ، وَذَلَّتْ جَوَارِحُهُ، وَخَشَعَ صَوْتُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكَادُ تَبْلُغُ ذِلَّتُهُ وَسَكِينَتُهُ وَضَرَاعَتُهُ، إِلَى أَنْ يَنْكَسِرَ لِسَانُهُ، فَلَا يُطَاوِعُهُ بِالنُّطْقِ، وَقَلْبُهُ يَسْأَلُ طَالِبًا مُبْتَهِلًا، وَهَذِهِ الْحَالُ لَا تَأْتِي مَعَ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالدُّعَاءِ أَصْلًا.

ورَابِعُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الإِخْلَاصِ.

وخَامِسُهَا: ـ وَهُوَ مِنْ النُّكَتِ الْبَدِيعَةِ جِدًّا ـ كما قال شيخ الإسلام ـ: أَنَّهُ دَالٌّ عَلَى قُرْبِ صَاحِبِهِ لِلْقَرِيبِ، لَا مَسْأَلَةَ نِدَاءِ الْبَعِيدِ لِلْبَعِيدِ؛ وَلِهَذَا أَثْنَى اللهُ عَلَى عَبْدِهِ زَكَرِيَّا بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

فَلَمَّا اسْتَحْضَرَ الْقَلْبُ قُرْبَ الله ﷻ، وَأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ: أَخْفَى دُعَاءَهُ مَا أَمْكَنَهُ.

هَذِهِ شَروطُ مَنْ يُجِيبُ الله دُعَاءَهُ، وَمَنْ أَتَى بِهَا فَاللَّهُ مُنْجِزٌ لَهُ وَعْدَهُ، وَاللَّهُ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

أيها المسلم: عندما تلتجئ إلى الله تعالى في كُلِّ أمور حياتك، توجَّه لهُ بقلبك ولسانك ويديك، طالبًا منه ما يجول في خاطرك، وأنت على يقينٍ وثقةٍ بأنّ الله لن يرُدَّ عبدًا التجأ إليه، كيف وهو القائل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

مَن غيرُه تعالى يُجيب دعاءك إذا ضاقت عليك الدنيا؟ مَن غيرُه يرفع عنك الظلم إذا ظُلمت؟ مَن غيرُه يغفر زلّاتِك، ويمحو سيّئاتِك وذنوبك؟

فتوَجَّهْ إلى الله بدعوةٍ خالصة، ودمعةٍ صادقة، وقلبٍ حاضرٍ تائب، فوالله لن يُخيِّبك ما دمت صادقًا، ولن يردّك ما دمت مُقبلًا.

فهو القريب وهو مستوٍ على عرشه فوق سماواته، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

واعلموا يا إخواني: أن الله تعالى جواد كريم، لا يخيب دعاء من رجاه، ولكن الإجابة قد تكون بإعطاء ما سأل الداعي مباشرة، أو بصرفِ مكروهٍ عنه، أو بادخار الثواب لوقتٍ يكون العبد فيه أحوج ما يكون.

اللَّهُمَّ يا كريم يا قريب، يا جواد يا مُجيب، يا من أنت أقرب إلينا من حبل الوريد، اغفر ذنوبنا، وتجاوز عن تقصيرنا.

اللَّهُمَّ مَن ندعو وأنت الرب المعبود، ومن نسأل وأنت صاحب الكرم والجود.

اللَّهُمَّ فرِّج همومنا، واقض ديوننا، وأصلح أهلنا وأولادنا.

اللَّهُمَّ اغفر لأموات المسلمين، وارفع درجاتهم وتجاوز عن تقصيرهم يا ربِّ العالمين.

وصلَّى الله وسلَّم على رسوله، وعلى آله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ الثامن

فضيلةُ الاعتذارِ والرجوع إلى الحق

الحمد لله الملكِ المعبود، الرؤوفِ الرحيمِ الودود، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبيِّنا محمدًا عبده ورسوله، صاحبُ المقام المحمود، واللواءِ المعقود، والحوضِ المورود، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: **إخواني**: لقد جعل الله تعالى من طبيعةِ البشر النَّقصَ والخطأ، ولم يجعل الكمال إلا له وحده سبحانه، ولقد أوجد الله تعالى أنواعًا كثيرةً لعلاج الخطأ والنقص، من بينها التَّناصُح والتذكير بين الناس، فإذا فعلوا ذلك قلَّت الأخطاء والعيوب، وصَلُحَتِ الخواطرُ والقلوب.

ولقد ضرب سلفنا الصالح رحمهمُ الله، أروعَ الأمثلةِ في قبول الحقّ من أيِّ أحدٍ كان، والرُّجوعِ إليه، وعدمِ الحرج من ذلك.

لعلمهم بأنَّ عدمَ الاعترافِ بالحق: هو الكِبْر بعينه، كما قال ﷺ: «**الكِبْر بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ الناسِ**»(١).

فالمتكبر يرد الحق، ويُعرض عنه ولا يقبله؛ لأنه معتدٌّ برأيه، جازمٌ بصواب عمله، ومع ذلك يحتقر الناس ويزدريهم؛ لأنه يرى نفسه فوقهم.

وإنَّ من يُذَكِّرُنا بأخطائنا، ويُنبِّهُنا على عُيوبنا، قد أسدى لنا معروفًا

---

(١) رواه مسلم (٩١).

عظيمًا، فجزاؤه أن نشكرَه ونُثنيَ عليه، ونأخذَ بنصيحتِه إذا وافقت الحق ونعمل بها، فهذا من علامةِ الإيمان وصفاءِ القلب وتواضعه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: من علامات الخشوع: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ: اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا تَصِحُّ لَكَ دَرَجَةُ التَّوَاضُعِ، حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ تُحِبُّ، وَمِمَّنْ تُبْغِضُ، فَتَقْبَلُهُ مِنْ عَدُوِّكَ، كَمَا تَقْبَلُهُ مِنْ وَلِيِّكَ. اهـ كلامه[(٢)].

وهذه بعض النماذج الجميلة، والأمثلة العظيمة، في قبول الحق، والرُّجوعِ إليه، دون تكبُّرٍ وأَنَفة؛ لعلها تكونُ لنا درسًا نستفيدُ منها.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: سُئل عبد الله بنُ الحسن العنبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو يومئذ قاضي البصرة، وله مكانةٌ ومنزلةٌ عند الناس، سُئل عن مسألةٍ فأخطأ في الجواب، فقال له صبيٌّ أمام الناس: أخطأتَ أيها القاضي، الحكم فيها كذا وكذا، فطأطأ رأسه قليلًا ثم قال: إذًا أرجع وأنا صاغر، لَأن أكون ذَنَبًا في الحق، أحبُّ إليَّ مِن أنْ أكون رأسًا في الباطل[(٣)].

ومعنى قولِه: ذَنَبًا؛ أي: تابعًا لغيري.

لم يستثقل كلمةَ الحق من صبيٍّ صغير، قالها أمام الناس وأمام مُحبِّيه، فهذا هو الصدقُ والإخلاص.

وهذا الحافظ عبد الغنيِّ المقدسيّ رَحِمَهُ اللَّهُ، ألَّف كتابًا فيه أوهامُ وأخطاءُ الحاكم أبي عبدِ الله، صاحبِ الْمُستدركِ على الصحيحين، فلما وقف عليه الحاكمُ رَحِمَهُ اللَّهُ، جعل يقرؤه على الناس، ويعترف لعبد الغنيِّ

(١) مدارج السالكين ١/٥١٦.
(٢) مدارج السالكين ٢/٣٢١.
(٣) البداية والنهاية ١٠/٢١٧.

بالفضل، ويشكره على ذلك، ويرجعُ إلى ما أصاب فيه من الردِّ عليه، رحمهما الله[(١)].

وهذا الإمامُ المفسرُ البَقاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول في كتابه: «مقاصدُ النظر»: لو أن لي سعةً تقومُ بما أُريد، لكنتُ أبذل مالًا لمن يُنبهني على خطئي، فكلَّما نبهني أحدٌ على خطأ أعطيتُه دينارًا. اهـ.

وهذا الإمام الجوهريُّ إمام اللغة الأدب، أخطأ في درسِه فلحقه أحد صغار الطلاب ونبّهه على خطئه، ففرح بذلك وضَمَّه وَقَبَّلَ رَأْسه وَقَالَ له: أَنَا تَائِبٌ مِنْ ذَلِكَ، جَزَاك اللَّهُ عَنِّي مِنْ مُعَلِّم خَيْرًا، فلما جاء الدّرْسُ القادم قال له حين دخل المسجد: مَرْحَبًا بِمُعَلِّمِي، أَفْسِحُوا لِمُعَلِّمِي، وأخبرهم بتنبيه الطالب له على خطئه، وَجَعَلَ يَحْفُلُ فِي الدُّعَاءِ، وَالْخَلْقُ يُؤَمِّنُونَ. اهـ[(٢)].

انظروا وتأملوا إلى صدقِ وسلامةِ قلوب سلفنا الصالح، يفرحون بمن يُخبرهم بأخطائهم وعُيُوبهم، ويتمنى بعضُهم أنْ لو كان غنيًّا، فيُكافئ مَن يُنبّهه على الخطأ.

قارنوا هذا مع حال كثيرٍ من عامَّتنا وخاصَّتنا، حيث يجدون حرجًا إذا نُبِّهوا على خطأٍ فيهم، وينتقدونه بأنه ليس أهلًا أنْ يُخطِّئَهم.

كم رأينا مِن أناسٍ، ذُكِّروا بخطأٍ فيهم، وعيبٍ في سلوكهم وأخلاقهم، فلا يفرحون بذلك، بل يذمُّونه ويحتقرونه، إما لأنه يصغرهم سنًّا أو منصبًا، وإما جهلًا منهم، أنه سيقلّل قدرهم إذا قبلوه.

وسلفُنا الصالح رحمهم الله، يُعلنون في منابرهم أنهم قد أخطؤوا،

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٧٥.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٣٠.

وأنَّ فلانًا من الناس، هو مَن دلَّهم على ذلك، ويشكرونه ويُثنون عليه أمام الناس.

فلْنعوِّدْ أنفسنا أنْ نعترف بأخطائنا، ولْنفرح بمن يُصارحنا ويدلُّنا عليها، ولْنحذرْ إنْ لم نفعلْ ذلك، أنْ ينطبق علينا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

نسأل الله تعالى أنَّ يُعيننا على قبول الحق وأخذه، وردِّ الباطلِ ودحره، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على رسوله، وعلى آله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ التاسع

آدابٌ ينبغي مُراعاتها والعملُ بها

الحمدُ لله اللَّطيفِ الرؤوفِ المَنَّانِ، الْغَنِيِّ القويِّ السُّلْطَان، الحَلِيمِ الكَرِيم الرحيم الرحمٰن، الأوَّلِ فلا شَيْءٍ قبلَه، الآخِرِ فلا شَيْء بعده، الظَاهِرِ فلا شَيْء فوْقَه، الباطِن فلا شَيْء دُونَه، المحيطِ عِلْمًا بما كان وما يكونُ، يُعِزُّ وَيُذِلُّ، ويُفْقِرُ ويُغْنِي، ويفعلُ ما يشاء بحكْمتِهِ كلَّ يَوْم هُو في شأن.

أحْمَدُه على الصفاتِ الكاملةِ الحِسَان، وأشكرُه على نِعَمِهِ السَّابغةِ وبَالشُّكرِ يزيد العطاء والامْتِنَان، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحْدَه لا شريكَ له المَلِكُ الدَّيَّان، وأشهد أنَّ محمدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ المبعوثُ إلى الإنس والجان، صلَّى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه والتابعينَ لهم بإحسان ما توالت الأزمان، وسلَّم تسليمًا.

إخواني: إنّ من أعظم ما يتحلَّى به العاقل: الأدب والمروءة، فبهما يكسِب كلّ خيرٍ وبرّ، ويدفع بهما سُبل الغوايةِ والشرّ.

فالأدب والمروءةُ مِن أهمّ ما يتجمل بِه الإنسان، وأحرى ألا يستهين بِه عاقلٌ، وسنقف مع بعضِ الآداب الْمُهمَّة، التي ينبغي مراعاتها والعمل بها.

أولًا: الانضباط والالتزام في المواعيد.

وإنَّ مِن صفات المؤمنين عدمَ إخلاف الوعد، ولكنْ مِمَّا يُؤسف له أنّ كثيرًا من الناس يستهين في وُعُودِهم ومواعيدهم.

فبعضُهم يتَّفِقُ مع صديقه على موعدٍ مُحدّد في الساعة الفلانية، فيتأخر بعدها بعشر دقائقَ أو أكثر، وصاحبُه على أحرَّ مِن الجمر ينتظره، وحينما يحضر كأنَّ شيئًا لم يكن!

وبعضُهم يعِدك بأمرٍ أو قضاءِ حاجةٍ ثم يُماطل ويُؤخِّر، ويتساهلُ ويعتذر!

ثانيًا: وضع الحذاء في مكانِه الخاص به، وعدمُ وضعِه أمام مداخل البيوت والمساجد، فكثيرٌ من الناس لا يُبالي أين يضع حذاءه، ولو كان في طريق المارّة، ومِن أعظم مَن يجد الحرج من هذا الفعل المشين: أصحابُ الكراسي المتحركة، فكثيرٌ منهم لا يستطيع أنْ يَتَخطَّى هذه الأحذيةَ من كثرتها، فيضطر إلى إبعادها بيده، وهذا من إيذاء المؤمنين.

ثالثًا: عدمُ اسْتعمال اليد اليمنى فيما يُسْتقذر، كتنظيف الأنف والأذن ونحو ذلك، فكم من إنسانٍ يُباشر مثل ذلك، ثم يمدّ يده للسلام عليك، وهذا غيرُ لائقٍ ولا مقبولٍ.

رابعًا: عدمُ تَخَطِّي الناسَ عندما يصطفّون، إمَّا للسلام أو للشراء أو نحوِ ذلك.

كم همُ الذين يرون أنفسهم فوق الجميع، فيرون أنه من النقص عليهم أنْ يصطفوا مع بقية الناس، فيتخطون الصفوف تحت مرأى منهم.

وتُبصِرُ أناسًا في أكملِ هيئةٍ وأفخم زيٍ، لا يحترمون وقوفُ الرجال أمامهم، فَيَتَجاوَزُنَك وأنت قد سَبَقْتَهُم، فتَنظُرُ مُتألمًا لِهذه الأخلاق والآداب.

خامسًا: عدمُ الحديث والفم مُمْتَلئٌ بالطعام، فبعضُ الناس لا يُبالي بالكلام واللقمةُ في فمه، فيخرج كلامُه سمجًا ثقيلًا، وربما تطاير شيءٌ

من الطعام من فمِه أثناء حديثه، فيُؤذي الآكلين، ويُثقل على السامعين.

سادسًا: البعدُ عن الفضولِ وحُبّ الاستطلاع، وقد قَالَ ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[(١)].

فكلُّ أحدٍ له خُصوصيَّاتٌ لا يرضى لأحدٍ بأن يطَّلع عليها، أو يُدخلَ نفسه فيها.

سابعًا: الاعتناءُ برائحةِ الفم والجسم وشُرَّاب القدمين، فصاحب الْمُرُوءةِ والأدب الجمّ: لا يرضى أنْ تصدر منه رائحةٌ تُؤذي الآخرين، بل لا تشمّ منه إذا قابلتَه إلا رائحةً زكيّةً طيبة، تُدخل السرور على نفسك، وتنطبعُ في ذاكرتِه.

ثامنًا: عدمُ رميِ الْمُخلّفات في الطرقات، فَكَمْ يستاءُ المسلم حينما يرى بعض المسلمين يرمون القاذورات والأوساخ في الشوارع، وأماكنِ النزهة والطرقات، وهمُ الذين تعلَّموا ونَهَلوا من تعاليم الإسلام العظيمة، التي تمنع وتُحذر من مُضايقة المسلمين في طرقاتهم، ومن ذلك: إلقاء المخلفات في الطرقات.

تاسعًا: خفضُ الصوتِ أثناءَ العطاس بقدر الإمكان، ووضعُ حائلٍ كمنديلٍ أو ظهرِ اليد اليُسرى على الفَم، ولا ينبغي وضعُ اليد الْيُمنى دون حائلٍ، أو غَسْلِهَا قبل الْمُصافحةِ أو أكلِ طعامٍ ونحوِ ذلك.

نسأل الله تعالى أنْ يُجمّلنا بأحسن الأخلاق والآداب، وأنْ يُثيبنا عليها عظيمَ الأجر والثواب، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلَّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٣٧)، والترمذي (٢٣١٧)، وغيرهما.



المَجلسُ العاشر

السلام يا أمة الإسلام

الحمد لله له ما في السماوات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي جاهد في الله تعالى من غير توان ولا تقصير، صلى الله عليه، وعلى إلٰه وأصحابه الذين اتبعوه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم يرجعون، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: **إخواني**: إنَّ الأخوة الإيمانية أقوى من كل رابطةٍ وصلة، فيومُ القيامة لا أنساب بيننا، والأخِلَّاءُ يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فلا بدَّ أن نُنَمِّيَ هذه الأُخوة، ونقوي هذه الرابطة، بفعل الأسباب التي شرعها الله تعالى لنا ورسوله عليه الصلاةُ والسلام.

ومن أعظم أسباب الألفة والمحبة والترابط: البدءُ بالسلام، والردُّ المسموعُ على مَن سلّم.

والسلام كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسمٌ من أسماء الرب تبارك وتعالى، فهو السالم من كل آفة وعيب، ونقص وذم.

وأما قول المسلِّم: السلام عليكم، فهو إخبار للمسلَّم عليه بسلامته من غِيْلَةِ المسلِّم، وغشِّه ومَكْره، ومكروهٍ يناله منه، فيرد الراد عليه مثل

ذلك؛ أي: فعل الله ذلك بك وأحلَّه عليك»[١].

السلام تحيةُ المسلمين، وأتم هذه التحية وأكملُها: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فهو دعاءٌ للمسلَّم عليه بالسلامة والرحمة والبركة.

والسلام من محاسن الإسلام، وابتداؤه سُنَّة عند اللقاء، على من عرفت ومن لم تعرف، من صغير وكبير، وغني وفقير، وشريف ووضيع، وهو يتضمن تواضع الْمُسلِّم، وأنه لا يتكبر على أحد، فمن بدأ الناس بالسلام فقد برئ من الكبر، وأولى الناس بالله من بدأهم بالسلام، وأبخل الناس الذي يبخل بالسلام.

والسلام تحيةُ المسلمين في الدنيا والآخرة ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

يُسَلِّمُ عليهم الرب الكريم، وتسلم عليهم الملائكة، ويسلم بعضهم على بعض.

والسلام عبادة عظيمةٌ، أَمرنا الله به وحثَّنا عليه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ [النور: ٢٧].

ولو دخلت بيتك وليس فيه أحد، فالمشروع في حقِّك السلام أيضًا.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ﴾ [النور: ٦١].

والسلام تحية الأنبياء والملائكة عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٥].

(١) أحكام هل الذمة: ٣/ ١٩٨.

والسلام من أعظم الأعمال، وأجلِّ الخصال.

سُئل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» متفق عليه.

والكثير من الناس لا يسلِّم إلا على معارفه وأحبابه، وهذا مُخالفٌ للسُّنَّة ولمكارم الأخلاق.

والسلام من أعظم أسباب دخول الجنة.

فعن عبدِ الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

والسلام من حق المسلم على أخيه المسلم، ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم ست**، ـ وذكر منها ـ: **إذا لقيته فسلم عليه**».

فحقُّ المسلم عليك أيها المسلم، أنْ تُسلِّم عليه إذا لقيتَه أو مَرَرْتَ به، سواءٌ عرفتَه أو لم تعرفْه.

بل أمر النبي ﷺ بالسلام وحثَّ وأكدّ عليه.

فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ، ـ وذكر منها ـ: وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ. متفق عليه.

فالذي يمرّ على الناس ولا يُسلِّم عليهم، قد خالف أَمْرَ نبيّه وإمامِه ﷺ، وتسبّب في نُفرةِ القلوب وضيقِها؛ لأن إفشاء السلام من أسباب المحبة والألفة بين المسلمين، وتركُهُ يقطع هذه الألفة والمحبة، كما قال النبي ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» رواه مسلم.

فما أجمل أنْ تُعوِّد نفسك على إفشاءِ السلام أيها المسلم، فلا تمرّ بأحدٍ إلا بادرتَه بالسلام، وإن زدْت على ذلك بشاشةً وابتسامةً فهو نورٌ على نور.

اللَّهُمَّ وفِّقْنا لاتِّبَاعِ الهُدى، وجنِّبنَا أسْبَاب الهلاكِ والشَّقاء، واجعل شَهرنَا هَذَا لَنَا شهرَ خيرٍ وبركةٍ، وأعِنَّا فيهِ على طاعتك، وجنِّبْنا طرقَ معصِيتك، واغْفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتِك يا أرْحَمَ الراحمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى إلٰه وأصحابِه والتابعينَ لهم بإِحسانٍ إلى يومِ الدِّين.





المَجلسُ الحادي عشر

فضل الذكر وأثره

الحمد لله الواحدِ الأحد، أحقُّ مَن شُكِرَ وحُمد، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له الفردُ الصمد، لم يتخذ والدةً ولا ولد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أعظم مَن صلى لله وسجد، وأزهدُ من قنت لله وعَبد، لا يطلبُ ما فُقِدْ، ويأكل ما وجد، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه وأزواجه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: **إخواني**: لقد سمعنا في مجالسنا في هذا الزمان مَن يذكر ويغبِطُ الأغنياء والتجار، وما هم فيه من رغدِ العيشِ والاسْتئثار، فهل سمعنا غبطةَ الصحابة رضي الله عنهم، لأغنياءِ وتُجَّارِ زمانهم، فهي أغربُ غبطةٍ سُمِعت في التاريخ، فما أجمل أنْ نُمتع أسماعنا، ونُحرك قلوبنا بسماعها، وأخذِ العبرةِ منها.

ثبت في «الصحيحين»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حزينين مهمومين، فقَالُوا: يا رسول الله، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ ـ أي أهلُ الأموال الكثيرة ـ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

أي: أنَّ الأغنياء والتجار، فازوا في الجنة بالدرجات العُلى، والنعيمِ المقيمِ فيها.

فتعجَّب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ**». قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا

(١) البخاري (٨٤٣)، ومسلم (١٣٧٥).

نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ.

الله أكبر، إنها هِمَّةُ الصحابة العظماء، والقادةِ الأجلاء، هِمَّةٌ تَتَضَعْضَعُ دونها الجبالُ الراسية، والبحارُ الْمُتلاطمة، والحصونُ المنيعة، إنها هِمَّةٌ جعلتْ منهم رجالًا صنعوا التاريخ، وفتحوا وطهَّروا الأرض، رضي الله عنهم وأرضاهم، وأخزى الله من تنقَّصهم وآذاهم.

أيها الإخوة الكرام: قارنوا حالنا بحالهم، نحن نشتكي إلى بعضنا؛ اسْتئثار الأغنياء بالأموال والمتاع والطعام، وهم يشتكون إلى بعضهم، اسْتئثار الأغنياء بالدرجات العلى في الجنان.

اسمعوا إلى ما قال هؤلاء، الذين في ظاهرهم فقراء، وفي باطنهم وهمَّتهم أغنياءُ عظماء، قالوا: يا رسول الله، الأغنياءُ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، فنحن وهم في ذلك سواء، لكنَّهم يَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، لأنَّ عندهم من الأموال ما ليس عندنا، فلن نهنأ بعيشٍ واطْمئنان، ونحن نرى أحدًا يسبقنا إلى الجنان.

فَلَمَّا سمع النبيُّ ﷺ قولهم، وعرف شكواهم، طمْأنهم بكلامٍ جميل، ووعدهم بأجرٍ جزيل، لهم ولكلِّ مَن جاء بعدهم فقال: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ**»؛ أَيْ: مِنْ أَهْلِ الْأَمْوَال، الَّذِينَ اِمْتَازُوا عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقَةِ والعطاء.

«**وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ**»؛ أي: تسبقون به أمثالكم، الذين لا يقولون هذه الأذكار.

«**وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟**».

فتعجَّب هؤلاء الفقراءُ رضي الله عنهم، من هذا العمل العظيم، الذي إذا عملوه أدْركُوا بِهِ مَنْ سَبَقَهم، وَسْبقُوا بِهِ مَنْ بَعْدَهم، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ

أَفْضَلَ مِنْهم، إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعوا، فقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً**»[(١)].

الله أكبر، من قال هذا الذكر اليسير، يكون أجرُه كالمتصدق والمنفق؟ فما أوسع وأعظم فضل الله تعالى علينا.

ولا عجب من ذلك، فهذا الذكر من أفضل وأعظم الأعمال، فهو سببٌ لغفران الذنوب، قال ﷺ: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**» رواه مُسلم[(٢)].

وقائلهنَّ لا يخيب أبدًا، قال ﷺ: «**مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً**» رواه مُسلم[(٣)].

وإذا كان هذا هو فضل هذا الذكر العظيم: فينبغي أن نَهْتم بمعاني هذه الألفاظِ ونستحضرَها، حتى يكون تأثيرُها أقوى.

ونحن نرى واقع كثيرٍ مِمَّن يقول هذه الأذكار بعد الصلوات، يقولُها بعجلةٍ وعدمِ تأمُّلٍ بمعانيها ومدلولاتِها، بل بعضُهم يقولها وهو يلتفتُ يمنةً ويسرة بغفلة، وبعضهم يقولُها وهو مشغولُ البال والفكر، وهذا سببٌ في عدم حصول الأجر الوافر للذاكر، وعدمِ تأثير الذكر عليه، فللذِّكرِ لذَّةٌ وحلاوةٌ وبركةٌ على الذاكر، الذي يذكر الله بقلبه قبل لسانه.

---

(١) رواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).
(٢) (٥٩٧).
(٣) (١٣٧٧).

نسأل الله تعالى أنْ يجعلنا من الذاكرين الشاكرين، وأنْ يرفع درجاتنا في عليِّين، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى إلٰه وأصحابِه والتابعينَ لهم بإِحسانٍ إلى يومِ الدِّين.





المَجلسُ الثاني عشر

نعمةُ سِتْرِ الله على العبد في الدنيا والآخرة

الحمد لله الذي بِرَحْمَتِهِ يغفر الذنبَ الصريح، ويسترُ بفضله العيبَ القبيح، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، كريمٌ حَيِيٌّ ستِّيْرٌ، يُحبُّ السَّتْرَ ويرضاه، ويكره التعرِّي ويأباه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إلٰه وصحبِهِ والتابعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: معاشر المصلين، هناك نعمةٌ من نعم الله العظيمة، التي بِدُونها لا نَهْنَأُ بعيش، ولا يطيب لنا مُقامٌ بين أهلنا وفي بلدنا، هي نعمةٌ تناساها أكثر الناس، ولم يعرفوا قدرها، ويستشعروا أثرها.

إنها نعمةُ سَتر الله علينا، التي لولاها ما تلذَّذنا بنعمة، ولا تَهَنَّأنا بعيشة، ولا اسْتمتعنا بصحبة، وأصبحنا منبوذين مُحتَقرين من الأقارب والأباعدِ.

قال بعض السلف: أَصْبَحَ بِنَا من نعم الله ما لا نُحْصيه، مع كثرة ما نَعْصِيه، فما ندري أيُّها نشكر؟ أجميلُ ما ظَهَر، أم قبيحُ ما سَتر؟[(١)].

فالحمد لله الذي جمَّل ظاهرنا، وستر قبيح أفعالنا، ولولا ذلك، ما طقنا العيش حتى مع الجماد.

أحسنَ اللَّه بنا أنَّ الخطايا لا تفوح ... فإذا المستور منها بين ثوبيه فُضُوح

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٥٢٧.

قال رجلٌ لأحد السلف: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحت بين نعمتين، لا أدري أيَّتُهُمَا أفضل: ذنوبٌ سترها الله ﷻ، فلا يستطيع أن يعيرني بها أحدٌ، ومودةٌ قذفها الله ﷻ في قلب العباد، لم يبلغها عملي(١).

وفي الناس شرٌ لو بدا ما تعاشروا ولكنْ كساه اللَّه ثوبَ غِطاءِ

فمن رحمة الله بك يا عبد الله، أن كساك ثوب السِّتر، وأنْ حجب عيون الناس عن رؤيةِ معاصيْك، فلو أنك في كلِّ مرةٍ أذنبت، بانت عليك سِمَةٌ أو علامة، تَكْشِفُ وتَفْضح الذنب الذي أذنبت واقترفت، كيف سيكون حالك؟

ماذا لو كان للذنوب رائحةٌ مُنتنة، تَخْرُجُ منك حين تعصي الله، لصار عيشُك لا يطاق ولا يُحْتَمَل، وعشت مفضوحًا أمام الناس، ولكنَّ الرحيمَ السِّتِّيْرَ، ستر عليك، ورحمك ولَطُف بك.

واعلم يا مَن أحبَّك الناسُ، ووثِقَوا بك: أنَّه لولا سَتْرُ الله عليك: لم تهنأ بهذه النِّعْمة، ولم تَنْعمْ بهذه الفضيلة.

قال بعض السلف: اعلم أن الناس إذا أُعْجِبوا بك، فإنما أُعْجِبوا بِجَمِيْلِ سِتْرِ الله عليك.

إخواني: إنَّ سَتْرَ الله علينا يوم القيامة، أعظم وأفضل مِن سَتْرِه علينا بالدنيا، فلو فضحك الله في الدنيا، فانْكشف سِترك، وظهر عيبك، فلن يدوم ذلك أبدًا، لكنَّ المصيبة العظيمة، والفضيحةَ الدائمة، يوم أنْ يفضحَكَ الله بين العالمين، ويُظهرَ سريرَتك أمام الآخرين، في يومٍ تُبلى فيه السرائر، ويُظهرُ الله ما في الضمائر، فما موقفك لو فُعل بك ذلك؟

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٨.

فيا معشر المذنبين ـ وكلنا كذلك ـ، يا معشر الْمُتجرِّئين على حُرُمات الله: لا تغتروا بستر الله تعالى عليكم؛ فإن له يومًا يهتك فيه الأستار، ويحاسب عباده على ما عملوا في الليل والنهار، فقومٌ إلى الجنة وقومٌ إلى النار.

ولكنْ أبشر بسَتْر الله عليك إنْ كنت مؤمنًا، وإخفاءِ عيوبك عن العالمين إنْ كنت صالحًا.

قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ ﷻ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ الله له: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ**» متفق عليه(١).

وإذا كان الله تعالى، يُحِبُّ أنْ نستر على أنفسنا، فإنه يُحِبُّ أنْ نستر على عباده، الذين قد يَزِلُّ أحدُهم بهفوةٍ أو معْصية، ولم تكن من عادته وشيمته. فالواجب أنْ نستر مَنْ هذه حاله.

قال رسول الله ﷺ: «**أَقِيلُوا ذَوِي الهَيْئَاتِ عَثَراتِهِم**» رواه الإمام أحمد(٢) وصححه الألباني(٣).

وهُمُ الَّذين لا يُعْرَفُون بالشَّرِّ، فَيَزِلُّ أَحَدُهم الزَّلَّة ويرتكب الخطيئة.

ومعنى ذَوِي الهَيْئَاتِ: أي: ذَوي الهَيْئاتِ الحَسَنَةِ، الذَين لا يرى الناس منهم إلا الصلاحُ والخير.

وفي السَّتر على هؤلاء فضلٌ عظيم، قَالَ ﷺ: «**لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا**

(١) البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٥٢).
(٢) (٢٥٤٧٤).
(٣) في صحيح وضعيف أبي داود (٤٣٧٧).

فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم[(١)].

فمن عُرف بالصلاحِ والخيرِ، فنستره وننصحه.

ومن عُرف بالشرِّ والأذى، كمن يعتاد على السرقة والزنا، واسْتعمالِ المخدرات والخمور، فيجب علينا التبليغ عنه، وتَحْذيرُ الناس منه، ولا يجوز لأحدٍ أن يتستَّرَ عليه، فقد يكون شريكًا له في جرمه وسوءِ فعلِه.

اللَّهُمَّ لا تفضحنا بين خلقك، وتجاوز عنا يوم العرض عليك، إنك على كلِّ شيءٍ قدير.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابِه والتابعينَ لهم بإِحسانٍ إلى يومِ الدِّين.



---

(١) (٦٧٦٠).

المَجلسُ الثالث عشر

الوسائلُ الصحيحةُ والخاطئةُ في الوقايةِ من العين

الحمدُ لله ربِّ العالمين، غرس في بعضِ القلوب الإيمانَ واليقين، فلمْ تخش السحرةَ ولا العائنين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، جعلَ التوكُّل والثقةَ به، نجاةً ومعونةً في الدنيا ويومِ الدين، وحِرْزًا من الشياطينِ والحاسدين، وأشهد أن نبينا محمدًا عبدُ الله ورسوله، النبيُّ الصادقُ الأمين، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه، الذين كانوا للخير سابقين، ولِشرعِ الله مُطبِّقين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: معاشر الإخوة الكرام، لقد كثُرَ الحديثُ في مجالس الناس، وخاصّةً مجالسِ النساءِ عن العين وأثرِها، وانْتشارِها وضررِها، وبالَغَ الكثيرُ من الناس في الخوف منها، حتى أصْبحت أكثرَ حديث بعضِ الناس، وإذا ألَمَّ بأحدهم مرضٌ أو مُصيبة عزاه للعين أو السحر، فراجَ سوق الرُّقاةِ الصادقين والدَّجالين، وكلُّ هذا من الجهل في الدِّين.

لكنّ الذي يُؤكَّدُ عليه أنَّ هناك وسائلَ صحيحة وأخرى خاطئة، للوقاية من العين والسحر، فالمؤمنُ العاقل، هو الذي يسلك السُّبُلَ الصَّحيحةَ السليمة، ويبتعدُ عن الخاطئةِ السقيمة.

فمن الوسائلِ النافعة السليمة:

أولًا: عدمُ إظْهار المحاسن والْمَفاتن، وخاصةً من الصبيان والنساء، فالمبالغةُ في اللباس والزينة، مع ما يُصاحبُها من العجب والبَطَر غالبًا، تجعلُ صاحبها مُعرَّضًا للعائنين والحاسدين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن علاج ذلك والاحترازِ منه، سَترُ محاسن مَن يُخاف عليه العَيْن، بما يردُّها عنه[١]. اهـ.

فهذا السبب لا بأس به، وهو وسيلةٌ لسدِّ الفتن والْمُغرَيات.

ثانيًا: الْمواظبةُ على الأورادِ والأذكار، وقراءتُها بتأمُّلٍ واسْتشعار، ويقينٍ بنفعها، وإيْمانٍ بِجَدْواها، فأكثرُ الناس يقرؤها دون تأمُّلٍ لِمَعانيها، بل ربَّما شَرَدَ ذِهْنُه أثناء قراءتها، فحينها لا تؤتي الأورادُ أُكُلَها، ولا تُحصِّن صاحبَها، إلا أن يشاء الله.

ومن التعوُّذاتِ والرُّقَى، الإكثارُ من قراءة المعوِّذتين، وفاتحةِ الكتابِ، وآيةِ الكُرسي، ومنها التعوذاتُ النبوية، مثل: «**أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ مِن شرِّ ما خَلَق**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومَن جرَّب هذه الدعوات والعُوَذَ، عَرَفَ مِقدار مَنْفعتها، وشِدَّةَ الحاجةِ إليها، وهي تمنعُ وصول أثر العائن، وتدفعُه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها، وقوةِ نفسه واستعدادِه، وقوةِ توكله وثباتِ قلبه، فإنها سلاح، والسلاحُ بضاربه[٢]. اهـ.

تأملوا قوله: فإنها ـ أي: الرقى والأذكار ـ سلاح، والسلاحُ بضاربه، فالرقى والأذكار، سلاحٌ قاطع، وعلاجٌ نافع، لا بدّ أنْ يكون مُوردُها صحيحَ الإيمان، سليمَ الجنان، واثقًا مُتوكلًا على الملكِ الديَّان.

فمَن يُدْمِنُ على هذه الأدعيةِ وغيرِها، بيقينٍ وإيمان، وتوكلٍ على الرحيم الرحمٰن، كيف ستصيبه سهامُ الشياطين، وقد اسْتجار بالله ربِّ العالمين، كيف ستصيبه عينٌ مِن أَتْفَهِ البَشَر، وقد لاذ واعْتصمَ بالله المقتدر.

(١) زاد المعاد ٤/ ١٥٤.
(٢) زاد المعاد ٤/ ١٥٤.

إنه التوكل على الله وحده، وعدمُ الخوف من هؤلاء العائنين أبدًا، ولو هدَّد وتوعَّد بأنْ يُصيبَه بالعين إن لم يفعلْ ما طَلَبْ.

وإن من المحزن حقًّا ما نراه مِمَّن قلَّ يقينه، وضعُفَ إيمانه، من الخوف والهلع، والجُبْن والفزع، من العائنين والسَّحرة، حتى وصل الحال ببعضهم أنه يَكتم ويُخفي ما أنعم الله عليه خشيةَ العين، وإذا سُئل عن حاله ومعيْشته تظاهر بأنها سيِّئةٌ رديئة، قليلةٌ مُتردِّيه، فقد اتَّخذ ذلك وسيلةً لدفعِ العين، لكنَّها وسيلةٌ خاطئةٌ آثمة؛ لأنها تَجْمع بين مفسدتين عظيمتين، ومَعْصيتين كبيرتين:

المفسدةُ والمعصيةُ الأولى: جحدُ نعمة الله عليه، فالله يُعطيه ثم ينكر عطاءه، ويُنعم عليه ثم يُنكر نِعَمَه، بحجَّةِ الخوف من العين، وقد قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ ـ بعد أنْ عدَّد عليه نعمه وآلاءَه عليه ـ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

المفسدةُ والمعصيةُ الثانية: ضعفُ إيمانِه ويقينِه بالله، وانْعدامُ ثقته بحفظِ الله.

فأين يقينُه بالأذكار والأوراد، التي هي حِرزٌ متين، وحِصْنٌ حصين، من العائن والساحرِ والشَّيطانِ الرَّجيم، أين إيمانه بقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؟

نسأل الله تعالى، أنْ يعيذنا من شرّ العائنين والسحرة، وأنْ يرزقنا الثقةَ واليقين بالله ربِّ العالمين، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى إلٰه وأصحابِه والتابعينَ لهم بإِحسانٍ إلى يومِ الدِّين.



المَجلسُ الرابع عشر

ضرر الخادمات، وضوابط جلبهن

الْحَمْدُ للهِ الكريم الوهَّاب، مُقدِّرِ الأقدار ومُسبِّبِ الأسباب، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وعَدَ العاملين بها الأجرَ والثواب، وتوعَّد جاحديْها الويلَ والعقاب، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، لا يَخشى في الله لومةَ لائِم ولا عَتَبَ العُتَّاب، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إِلٰه وأصحابه أُلي النُّهى والألباب، وَسَلَّمَ تسْليمًا بَاقِيًا إلى يوم الحساب.

أما بعد: **إخواني**: إنّ لجلب الخادمات من الآثار السلبية الكثيرة، مِن ضياعٍ وهدرٍ للأموال، وسحرٍ وقتلٍ وشرّ، واطِّلاعِهِنَّ على أسرار البيوت، مما يثير فيهنَّ الغيرة والحقد.

فلا ينبغي جَلْبُهُنَّ إلى البيوت أبدًا، إلا بشروطٍ وضوابطَ ضروريَّة منها:

أولًا: ألا يتمَّ إحْضارُهنَّ إلا عند الحاجة والضرورة، فإن كان لغير ذلك، فستقع الأسرةُ بأحدِ الأضرارِ السالِفِ ذِكْرُها.

ثانيًا: على الزوج أن يحسن اختيار الخادمة، فيشترطُ أن تكون مسلمةً أمينة، وكُلَّما كَبُرَ سِنُّها كان أحسن وأسلم، ولْيتجنب إحضار الكافرة؛ لأن وجودها بين المسلمين، وفي داخل المنزل خطرٌ على أهل البيت، وخاصةً الصغارَ منهم، إذ قد يؤدي ذلك إلى إفسادِ عقائدهم وأخلاقهم، ويترتب على اختلاطها بهم، كثيرٌ من الأضرار والمساوئ.

واحذروا وتجنبوا إحضارَ الشابة الجميلة، فأغلب الفساد والشر

والضرر منها، فالشابةُ ضعيفة العقل، قد يُؤدي بها ضعفُ عقلها وقلةُ خِبرتها، إلى الإقدام على أعمالٍ لا تُحمَد عُقْباها، والجميلةُ مَدعاة للفساد والفتنة والرذيلة.

ثالثًا: معامَلَتُها معاملةً حسنة رفيقة، ولا يجوز لأهل البيت أن يعاملوا الخادمة معاملة سيئة، فإن الإسلام قد وضع لهؤلاء حقوقًا، يجب على المخدومين أن يقوموا بها تجاه الخدم، وأن يُوفُوا بها دون خللٍ أو نقص، فيا مَنْ في بيته خادمةٌ وعاملة، خاطِبْها بأسلوبٍ سهْل وكلام لين، دون جفاءٍ أو غلظةٍ في القول، ودون ضحكٍ وخضوعٍ في القول، فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه، ويجب توفيتُها أجرَها دون مماطلة أو نقص.

ثم فكِّر يا مَنْ تُعاملُ الخدم بالقسْوةِ والغلْظة، في التصور الذي تأخذه هذِهِ الخادمات عن الدين الإسلامي، وهُنَّ يَرَيْنَ ويُشاهدنَ تصرفاتِ المنتسبين إليه، واسأل نفسك: أيُّ عائقٍ وضَعْته أمامهن! وأيُّ صدٍّ عن سبيل الله قد فعلته بهن!

رابعًا: ألا تُكلَّفَ من العمل فوق طاقتها، بل تُخَصَّصُ لها ساعاتٌ للراحة، فإن دعتِ الحاجةُ قيامهنّ بعملٍ إضافي، فينبغي معاونتهن، وتأملوا قولَ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ** ـ أي: خدمٌ لكم ـ، **جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ؛ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»(١) متفق عليه.

فينبغي الإحسان إليهم بالطعام واللباس، وأن يُمكَّنوا من الأكل مما

(١) البخاري (٢٥٤٥)، ومسلم (٤٤٠٣).

يأكل منه أصحاب المنزل، فإنه ليس من المروءة، أنْ يأكلَ أهلُ البيت أجودَ الطعام وأحسَنَه، ويأكلَ الخدم أقل منه.

خامسًا: تعليمُها أمور دينها، وما يحل وما يحرم عليها، وذلك عن طريق الكتب والأشرطة المتوفرة، فأنْت أصبحت مسؤولًا عنها، كمسؤوليتك عن سائر أفراد أسرتك، وقد قال ﷺ: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**» متفق عليه(١).

سادسًا: ألا تُخالِط الخادمةُ الرجالَ والشباب، وألا يخلو بها أحدٌ منهم، وألا تُتْرَكَ وحدَها في البيت، وفيه أحدُ الرجالِ أوِ الأبناءِ البالغين والمراهقين.

وينبغي على ربّةِ المنزلِ أنْ تصحبها معها، فقد قال ﷺ: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**» رواه الترمذي(٢) وصححه.

سابعًا: أنْ تتولى الأم تربية أبنائها بنفسها، وتتولى إطعامهم وكسوتهم، ولا تكل ذلك إلى الخادمة أبدًا، وألا تخرج من البيت وتتركها وحيدةً مع أبنائها، مهما دعتها الضرورةُ إلى ذلك.

اللَّهُمَّ وفقْنا لِمَا وَفَّقتَ إليه عبادَك الصالحين، واغْفِر لَنَا ولِوَالديْنا ولجميع المسلمينَ، برحمتِكَ يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينَا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.



---

(١) البخاري (٨٩٣)، ومسلم (٤٨٢٨).

(٢) (١١٧١).



المَجلسُ الخامس عشر

ها هو رمضانُ قد انقضى شَطْرُه، فهل من مُشمِّرْ؟

الحمد لله الذي شرَّف هذه الأمةَ بمواسم الخيرات، ونوَّع لهم كثيرًا من العبادات والطاعات، فسهَّل عليهم فعلها، ووعد بالأجر العظيم عليها، فشَرُفَتْ هذه الأمة على الأمم السابقة، بما نالته من البركة والأجور المضاعفة، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، لا معبود بحقٍّ سواه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ومجتباه، وخليله ومصطفاه، وعلى إلٰه وصحبه ومن سار على هداه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم لِقَاه.

أما بعد: **إخواني**: ها هو شطر شهر رمضان قد مضى، ولا يزال كثيرٌ من الناس لم يذق طعم العبادة في رمضان، لم يتذوَّقِ الأنسَ واللذةَ فيه، لم يَعِشْ مع رِحَاب القرآن، لم يجدْ طعمَ الخشوعِ والخضوعِ بين يدي الله، في صلاةِ التراويح وغيرها، لا زال مشغولًا باستراحاته وقنواته، لا تؤثرُ فيه موعظة، ولا تحرِّكُ قلبَه آية، يتحبب الله إليه بنعمه وآلائه، ويبارزه بمعصيته وسخطه.

ارتقى رسول الله ﷺ المنبر يومًا فقال: «**آمين**»، فلما نزل قالوا: يا رسول الله! لقد سمعنا منك اليوم شيئًا ما كنا نسمعه، قال: «**إن جبريل عرض لي فقال: بَعُد من أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت: «آمين»**»[(١)].

فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورسولُ الله ﷺ، يدعوان على هذا الغافل المفرِّط،

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٠٩)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٤١٠).

الذي أدركه رمضان، فلم يُغَيِّرْ من حالِه، ولم يتب إلى ربه، وقد يسَّر الله له صنوفًا من العبادات، ورتَّب عليها المغفرة والرحمة، والأجور العظيمة.

«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١)، **«ومَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**(٢)، **«وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**(٣).

ما أيسرها من عبادات، وألذَّها من طاعات، وما أعظم أجورها، وأفضل نتائجها.

لكنْ تأمَّلِ الشرط: (إيمانًا واحتسابًا)، والجائزة: (غُفر له ما تقدم من ذنبه).

فلا بدّ أنْ يكون القيامُ والصيام إِيمَانًا؛ أَيْ: تَصْدِيقًا جازمًا بِوَعْدِ الله بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ.

وَاحْتِسَابًا؛ أَيْ: طَلَبًا لِلأَجْرِ والثواب، لَا لِقَصْدٍ آخَر مِنْ رِيَاءٍ أَوْ مُجاملةٍ أو عادةٍ أو غيرِ ذلك.

فإذا فعل الصائم والقائم ذلك: فلْيَبْشِرْ بالجائزة والغنيمةِ العظيمة: وهي مغفرةُ الذنوب السالفة، حتى قال ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظَاهِرُهُ يَتَنَاوَلُ الصَّغَائِرَ وَالْكَبَائِرَ». اهـ(٤).

أي: أنَّ الله يَغفرُ لك كلَّ ما ارتكبته من آثامٍ ولو عَظُمت، وخطايا ولو كثُرت، إنْ صدقت مع الله تعالى، وأقبلتَ إليه في هذا الشهر

---

(١) البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).
(٢) البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).
(٣) البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).
(٤) فتح الباري ٦/ ٢٩٠.

العظيم، وأخلصت بعملك لله وحده، وما ذلك على الله بعزيز.

أيها الصائم: في كلِّ لَيلةٍ ساعةُ إجابَةٍ، فالكريم سبحانه فيها يمنح، والأبوابُ فيها تُفْتَحْ، فاطْلبْ فيها ما شئتَ فالمعطِي عظيم، وأيقِن بالإجابةِ فالرّبّ كريم، وبُثَّ إليهِ شَكواك فإنّه الرحمٰن الرّحيم، وارفَع إليه حاجتك فهوَ السّميع البصير، يقول عليه الصلاةُ والسلام: «**إنّ في اللّيلِ لساعةً، لا يُوافقها رجلٌ مُسلم، يسأل اللهَ خيرًا مِن أمرِ الدّنيا والآخرة إلّا أعطاه إيّاه، وذلك كلَّ ليلة**» رواه مسلم[١].

إنَّ الكريم من البشر ـ ولله المثل الأعلى ـ إذا سُئل يستحي أنْ يمنع، والشريفَ منهم إذا وُصل لا يُمكن أنْ يقطع، فكيف بأكرم الأكرمين، وأجود الأجوَدين ﷻ، فإذا سألته فلن يمنعك، وإذا وصلته بصلاتك وعبادتك فلن يقطعك.

وهذا ربُّنا تبارك وتعالى يقول، بعد أنْ ذكر آيات الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

يا له مِنْ أسلوبٍ ما ألطفه، ونداءٍ ما أجمله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾، فأنت عبده وتحت تصرُّفه، فلا غنى لك عنه وعن إحسانه.

﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾: هو أقرب إليك من حبل الوريد، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: يُجيب دعاءك وحاجتك، ويغفرُ ذنوبك ومعصيتك.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾: بالدعاء الخالص من القلب.

---

(١) (١٨٠٦).

اللَّهُمَّ اغْفِر لنا ذنوبًا حالتْ بيننا وبينَ ذِكْرِك، واعفُ عن تقصيرنا في طاعتِك وشُكْرك، وأدم علينا لُزُومَ الطريقِ إليَك، وهَبْ لنا نُورًا نهتدي به إليك.

اللَّهُمَّ أذِقْنا حلاوةَ مناجاتِك، اللَّهُمَّ احْشُرْنا في زُمْرةِ المُتَّقين، وألحقْنا بعبادِك الصالحِينَ.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنَا محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين.



المَجلسُ السادس عشر

عباداتٌ في شهر رمضان لا ينبغي لأحدٍ أنْ يُفرط بها

الْحَمْدُ للهِ الذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِالإِيمَان، وَفَرَضَ عَلَيْنَا الصَّوْمَ فِي رَمَضَان، لِنَيْلِ السعادةِ وَالرِّضْوَانِ، ولِتَهْذِيبِ النُّفُوسِ وَصِحَّةِ الأَبْدَان، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريك له، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْعَادِلِينَ وَقُدْوَةُ الْعَامِلِينَ، وَسَيِّدُ الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ، صَلَّى اللهُ وسلّم عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَسَارَ عَلَى دَرْبِهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد: **إخواني**: هذا الشهر العظيم فرصةٌ ثمينةٌ للعبادة، وموسمٌ مُهيَّأٌ للطاعة، وهناك عباداتٌ لا ينبغي لكل مسلمٍ أنْ يتهاون بها، ولا ينبغي لأيّ مؤمنٍ أنْ يُفوتها.

فمن أعظم العبادات:

أولًا: التوبةُ الصادقةُ من كل ذنبٍ وتقصيرٍ، وكثرةُ الاستغفار، ولا يخلو عبدٌ مهما بلغ في تقواه من تقصيرٍ وتفريط.

فَعَلَيْنَا أَنْ نعقد العَزْمَ الأكيدَ عَلَى تَرْكِ الذنوب وَالسَّيِّئَاتِ، وعدمِ مُشاهدة المسلسلات والأفلامِ الماجنة، عَلَيْنَا أن نعاهد الله تعالى بالتوبة النصوح، التي يكون فيها الندمُ على ما فرطنا، والعزم على أن لا نعود إلى المعاصي والآثام، ونُقلع دون تأخرٍ عما يُغضب ربنا، فَرَمَضانُ شَهْرُ التَّوبةِ والإنابة، فَمنْ لَمْ يَتُبْ فيهِ فَمتَى يَتُوبُ؟!

ثانيًا: قيام رمضان خلف من تخشع معه، ابْحَثْ عمَّن تجد

الطمأنينة والسكينة في الصلاة خلفه، فهذا هو لبُّ الصلاة ومقصودُها، وهذه الصلاةُ هي التي يُستعان بها على صلاح الباطنِ والظاهر، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] اسْتعينوا على زوال همومكم بالصَّبْرِ والصلاة، واسْتعينوا على تهذيب أخلاقكم بِالصَّبْرِ والصلاة.

فكيف يطلب المسلمُ صلاةً هذه هي مكانتها ومنزلتها، خلف من يتلو كتاب الله فيها بلا تُؤدةٍ ولا تأمل؟! أو من يهذ صلاته هذًّا، لا يتمكن المصلي خلفَه من دُعاءٍ في سجوده، ولا تعظيمٍ وتقديسٍ لله في ركوعه، ولا ثناءٍ وحمدٍ في اعتداله.

فالصلاةُ ليست همًّا نبحثُ عن أسرعِ إمامٍ يُزيحُه عنَّا، بل هي الروح والراحة والسعادة، وهي التي تُغذي قلوبنا.

وهنا نصيحةٌ لكل من ائْتمنه الله على صلاة المسلمين، اتقوا الله في صلاتكم، اقرؤوا القرآن كما أُمر نبيكم ﷺ، ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] فحبّروا القرآن ورَتِّلُوه تَرْتِيلا، وتَعَبَّدُوا بِتَدَبُّرِ مَا فَصَّلَهُ مِنْ آيَاتِهِ تَفْصِيلا، وابتعدوا عن العجلة المذمومة، والتكلفات الممقوتة.

ثالثًا: أنْ نصلَ من قطَعَنا، ونزور من هجرَنا، فهي عبادةٌ من أعظم العبادات، التي لا يُمكن أنْ تسلم لنا عباداتنا كلها بدونها.

احذر يا قاطع الرحم أنْ يخرج شهر رمضان، ولم تُحسن إلى من قَطَعْت.

رابعًا: الدُّعَاءُ والتضرع إلى الله تعالى.

فرمضان هو شهر الدعاء، وحينما ذكر الله تعالى أحكام الصيام قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

خامسًا: كثرةُ قراءة القرآن بتدبرٍ وتأمل، وهو من مقاصد إنزال القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فلْنحرص على تدُّبرِ هذا الكتاب العظيم، ولْنحذر من هذِّه والاستعجال في قراءته، فليس هو همٌّ نريد أنْ نُزيحه عنا بختمه، بل راحةٌ وهدىً وإيمان.

وَيَنْبَغِي التَّخْطِيطُ لِدَرْسِ تَفْسِيرٍ، إِمَّا مَعَ الأَهْلِ وَالأَقَارِبِ أَوْ مَعَ بَعْضِ الأَصْحَابِ، فَتَقْرَؤُونَ فِي تَفْسِيرٍ مِنَ التَّفَاسِيرِ الْمَوْثُوقَةِ، وَلَوْ عَشْرَ آيَاتٍ كُلَّ لَيْلَةٍ.

وَكَمْ مِنَ النَّاسِ لَهُمْ لِقَاءَاتٌ لَيْلِيَّةٌ، فَلَوْ أَنَّ مُوَفَّقًا مِنْهُمْ اقْتَرَحَ عَلَيْهِمْ دَرْسًا مُيَسَّرًا فِي التَّفْسِيرِ، لَحَصَلَ من ذلك خَيْرٌ وَعِلْمٌ عظيم.

سادسًا: تَفْطِيرُ الصَّائِمِينَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْبُيُوتِ، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

فَتَأَهَّبْ بِتَجْهِيزِ الْمَكَانِ فِي بَيْتِكَ أَوْ فِي مَسْجِدِك، فَإِدْخَالُكُ السَّرُورَ عَلَى الْفُقَرَاءِ مِنَ الأَعْمَالِ الْمَحْبُوبَةِ إِلَى اللهِ، بَلْ إِنَّ مُجَالَسَتَكَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَخِدْمَتَهُمْ، مِنْ أَنْفَعِ مَا يَكُونُ لِتَرْقِيقِ قَلْبِكَ، وَإِسَالَةِ دَمْعِكَ وَزِيَادِة إِيمَانِكِ.

وقد كان إمامنا وحبيبنا ﷺ يُجالس الفقراء كثيرًا، ويأكل ويمشي معهم.

نسأل الله تعالى أنْ يرحمنا رحمةً لا نشقى بعدها أبدًا، إنه على كل شيءٍ قدير.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابِه أجمعين.



المَجلسُ السابع عشر

الموت وأهواله

الحمد لله المتفرِّد بالبقاء، حكم على خلقه بالموت والفناء، وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الحياة العظمى على الدوام، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧]، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه، عاشوا في الدنيا سعداء، وماتوا صديقين وشهداء، رضي الله عنهم وأرضاهم، ومن سار على نهجهم واقْتَفَى أثرهم وهداهم، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: **إخواني**: إن الموتَ حقيقةٌ لا بد منه، وواقعٌ لا مفر منه.

وإن للموت لسكراتٍ وشدائد، لا بد للأحياء من مكابدتها وتجرعها.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ، أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِيهَا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «**لا إلٰه إلا اللهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ**»، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى يَدِهِ، ثُمَّ رفع بصره إلى السماء وقال: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**»، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ ﷺ.

معاشر المصلين: ينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الموت، قال

رسول الله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**»؛ أي: قاطع اللذات، وهو الموت.

قال بعض السلف: نعم مصلحة القلب ذكر الموت، يطرد فضول الأمل، ويكف لهيب التمني، ويهون المصائب، ويحول بين القلب والطغيان.

وإنّ تذكّر الموت علاجٌ لقسوة القلب.

جاءت امرأة تشتكي إلى عائشة رضي الله عنها قسوة القلب، فقالت: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت، فرَّق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها.

إخواني: إن لِمَلَكِ الموت هيبةً ووحشة.

نزل الموتُ برجلٍ من الصالحين فجزع، فقيل له: أتجزع؟ فقال: ولم لا أجزع؟ فوالله إن كان رسولُ أمير المدينة لَيأتيني فأفزع لذلك، فكيف برسول ربِّ العالمين؟!

هو الموت ما منه ملاذٌ ومهرب ... متى حُطَّ ذا عن نعشه ذاك يركب
نُؤَمِّل آمالًا ونرجو نتاجها ... وعلَّ الردى عمَّا نُرجِّيه أقرب
ونبني القصور الْمُشْمَخِرات في العلا ... وفي علمنا أنا نموت وتخرب

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا لِلْموت من وعدٍ ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، فكفى بالموت مُنَبِّهًا للقلوب، ومبكيًا للعيون، وزاجرًا عن المحرمات والموبقات، وقاطعًا للأمنيات.

قال ابن الجوزي رحمه الله: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسين قال: أسندت عبد الأول الهروي إليَّ فمات، فكان آخر كلمة قالها: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦ ـ ٢٧]. ومات رحمه الله.

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا　　والناس حولك يضحكون سرورًا
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا　　في يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

أيها الغافل المقصر: أما عَلِمْتَ أنَّ مَعَالِيَ الأُمُورِ لا تُنَالُ بالفُتُور، وإنَّمَا تُنَالُ بِالْجِدِّ والاجْتِهَادِ، والتَّشْمِيرِ لِيَومِ الْمَعاد، وخَلْعِ الرَّاحَة، واسْتِفْراغِ الوِسْعِ في الطَّاعة.

أوَمَا عَلِمْتَ أنَّ مَنْ جَدَّ وَجَدْ، ومَن زَرَعَ حَصَدَ، وليْسَ مَنْ سَهَرَ كمَنْ رَقَدْ، والأُمُورُ تَحْتَاجُ إلى وَثْبَةِ أَسَد، فإذا عَزَمْتَ فبَادِر، وإذا هَمَمَتَ فثَابِر، واعْلَمْ أنَّه لا يُدرِكُ الْمَفَاخِر، مَنْ كان في الصَّفّ الآخِر.

الآمالُ تُطْوى، والأعْمَارُ تُفْنى، والأبْدانُ تَحْتَ التُّرابِ تَبْلىَ، والأيَّام تُقرِّبُ كلَّ بَعِيْد، وتُبْلي كلَّ جَدِيد.

جديرٌ بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مَقَرُّه، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة والنار مورده: أن يستعد بصالح الأعمال، قبل طيِّ الآجال، وأن يعمل ليومٍ يشيب فيه الولدان، ويُتركُ فيه ما عز وهان، فإن المُفَرِّط يجتمع له عند موته حسرةُ الفَوْت، وسكرةُ الموت.

فتدارك عمرَك فالعمر واحد، وازرع في حياتك أعمالًا صالحة، لتحصدها في الآخرة أجورًا عظيمة.

اللَّهُمَّ ارحمنا إذا عرق منا الجبين، وكثر فينا الأنين، وأيس منا القريبُ والطبيب، وبكى علينا الصديق والحبيب.

اللَّهُمَّ ارحمنا إذا وارنا التراب، وودعنا الأحباب، وفارقنا النعيم، وانقطع منا النسيم، يا رحيم يا كريم.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى إلٰه وأصحابِه أجمعين.



المَجلسُ الثامن عشر

القبرُ: أعظم مواطن الادّكار والاعتبار!

الحمدُ لله القويِّ المتين، الظاهر القاهر المُبين، لا يعزب عن سمْعِه أقَلُّ الأنين، ولا يخْفَى على بصرِه حركَاتُ الجَنِين.

أحمدُه سبحانَه حمدَ الشاكِرين، وأسأله معونَة الصابِرين، واسْتَجِيرُ بِهِ من العذابِ المُهين، وأشهد أنْ لا إلٰه إلَّا الله الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه المصطفى الأمين، صلَّى الله عليه وعلى آل بيتِه الطاهرين، وعلى سائِر أصَحابِه الطَّيِّبين، وعلى أتباعِه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا.

إخواني: إنَّ مواطنَ الْعِبَرِ في هذه الدنيا كثيرةٌ جدًّا، ومن لم يعتبر فيها فَلِقسوة قلبه، وغفلةٍ في نفسه.

وإنّ من أعظم وأشدّ مواطن الاعتبار، وأبلغِ حالات الموعظة والادّكار: تلك الحالةُ التي يستوي فيها الشريفُ والوضيع، والغنيّ والفقير، والْمأمور والأمير.

لا تشفع للملك جُنودُه وألقابُه، ولا للوزير والأمير حُجّابه، ولا للغنيِّ قُصُورُه وأمواله، إنه الموطن الذي يُحْثَى فيه على الوجوه الناعمةِ التراب، ويَتَخلّى عنَّا الأحبابُ والأصحاب.

إنه اليوم الذي يُوضع الإنسانُ في قبره، ويُوسّد وَحْدَه في لحده، لا فرق بين الأغنياء والفقراء، ولا الْمُحتقَرِيْن والوزراء، كلُّهم سيُوسّدون التراب، ويُهال عليهم التراب، وتضمّهم اللحود، فلا امْتيازَ لسيّدٍ على مسود.

أتـيـتُ الـقـبـورَ فـنـاديـتـهـا ... أيـن الـمـعـظـمُ والـمـحـتـقـرْ
وأيــن الــمُــدِلُّ بــســلــطــانــهِ ... وأيـن الـمـزكـى إذا مـا افـتـخـرْ
تَـفَـانَـوا جـمـيـعًـا فـمـا مُـخْـبِـرٌ ... ومـاتـوا جـمـيـعًـا ومـاتَ الـخـبـرِ
تـروحُ وتـغـدو بـنـاتُ الـثـرى ... وتُـمـحـى مـحـاسـنُ تـلـكَ الـصـورْ
فـيـا سـائـلـي عـن أنـاسٍ مـضـوا ... أمـا لـكَ فـيـمـا تـرى مُـعْـتَـبَـرْ؟

اسْألُوا غنيَّهم ما بقي من غناه؟ اسْألُوا عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرون، اسألوهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجسادِ الناعمة، ما صنع بها الديدان تحت الأكفان؟!

أُكلت الألسن، وشُوّهتِ الوجوه، ومُحِيَتْ المحاسن، وكُسرت الأعضاء، ومزقت الأشلاء، فأين حُجَّابُهُم وخدمهم؟ أين أموالهم وكنوزهم؟

وتعظم الوحشةُ وتزدادُ الرّهبة، حين يأتيك الْمَلَكان وبِيَدِهِما مِطْرَقةٌ فَيقولان: «**مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولان لَهُ: صَدَقْت، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَنْزِلُك لَوْ كَفَرْت بِرَبِّك، فَأَمَّا إِذْ آمَنْت فَإِنَّ اللهَ أَبْدَلَك بِهِ هَذَا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ لَهُ فَيُقَالُ لَهُ: اُسْكُنْ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ.**

وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْت وَلَا اهْتَدَيْت، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَنْزِلُك لَوْ آمَنَتْ بِرَبِّك، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْت فَإِنَّ اللهَ أَبْدَلَك بِهِ هَذَا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ الْمَلَكُ بِالْمِطْرَاقِ، قَمْعَةً يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ

كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»[١].

في ظلمة القبر لا أمٌّ هناك ولا أبٌ شفيقٌ ولا أخٌ يؤنسني
وهالني صورةٌ في العين إذ نظرت مِن هول مطلع ما قد كان أدهشني
مِن منكرٍ ونكيرٍ ما أقول لهم إذ هالني منهما ما كان أفزعني

أين الألقابُ التي كانوا بها يُلقّبون؟ أين المناصب التي كانوا بها يتفاخرون؟ لقد تنازع الناس مناصبهم بعد موتهم، واقْتسم ورثتُهم أموالهم ولم يتركوا لهم شيئًا، حتى المشلحُ الذي يُغطّيهم أُخذ منهم.

انظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير الْقطنِ والكفن؟

أيّها الوزيرُ والرئيس، أيّها المسؤول والأمير، أيّها العاصي والغافل، إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، فلا تغترّ بمناصبك وشهاداتك، ولا بقصورك وأموالك، ولا بشهواتك ولذّاتك.

تذكّرْ أوّلَ ليلةٍ سَتَسْكنُ فيها قبرَك، لا صديق تُؤانسه، ولا ولد تُلاطفه.

غيَّرتُ موضع مرقدي يومًا ففارقني السكون
والقَبْرُ أوَّلُ ليلةٍ باللَّه قل لي ما يكون؟

هذه أوّل ليلةٍ سَتقضيها يا عبد الله، فأعدّ لهذه الأسئلة جوابًا، ولهذه الأجوبة صوابًا، اسْتعدّ للقاءِ هذين الْملكين العظيمين، فإن أجبت بصوابٍ، وإلا ضُربتَ بهذه الْمطرقة ضربةً تتهشّم منها عظامُك، وتَتَجرَّع الأسى منها طول بقائك.

واللَّه لو عاش الفتى من عمره ألفًا من الأعوام مالِكَ أمره

---

(١) رواه الإمامُ أحمدُ (١١٠٠٠)، وصححه الألبانيّ، وأصلُه في الصحيحين.

متلذذًا فيها بكل نفيسةٍ　　متنعمًا فيها بِنُعْمَى عصره
لا يعتريه الهمّ طُول حياته　　أبدًا ولا تجري الهموم بباله
ما كان ذلك كلُّه في أنْ يفي　　بمبيت أوَّلِ ليلةٍ في قبره

أيها الأخ الكريم: النعيمُ الحقيقي هو نعيم الروحِ، فاهتمّ بها واعتن بإصلاحِها، وجاهد نفسك وسابق إلى مرضاةِ ربك؛ فإن من يهتم بالمظاهرِ من لباسٍ ومسكنٍ ومركب ومنصب، ويُهمل إصلاحَ قلبِه، وزكاةَ روحِه، لا شك أنه غلط غلطةً كبرى، وخسر خسارةً عظمى.

اللَّهُمَّ نجنا من عذاب القبر، اللَّهُمَّ آنس وحشتنا في القبور، وآمن روعنا يوم الفزع والنشور، إنك سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنَا محمدٍ وعلى إلٰه وأصحابِه أجمعين.





المَجلسُ التاسع عشر

حسن الخلق

الحمدُ لله الَّذِي أنْشَأَ الخلائِقَ بقدرتِه، وأظهر فيهِم عجائبَ حكمتِهِ، ودَلَّ بآياتِه على ثبوتِ وحدانيَّته.

وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحدَه لا شريكَ لَهُ في ألوهيته وربوبيتِه، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلى جميع بَريَّته، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابه ومن تبعه في سُنَّته، وسلَّم تسليمًا.

أما بعد: **إخواني**: إنَّ للأخلاقِ في دينِنا الحنيفِ مكانَتَها السنِيَّةَ، ودرجتَها السامِيَةَ العليَّةَ، فهِيَ حَجَرُ الزاوِيَةِ في بناءِ المجتمعاتِ، والأساسُ المتينُ في نَشْأَةِ الحضاراتِ، وقُطْبُ الرَّحَى في تزكيةِ النفوسِ الأبِيَّاتِ، وهِيَ دعوةُ الأنبياءِ والمرسلينَ، وزِينةُ عبادِ اللهِ المؤمنينَ، وريحانَةُ المتقينَ، وحِلْيَةُ الصالحينَ.

وقَدْ دعا الإسلامُ إلى كُلِّ خُلُقٍ كريمٍ، ونفَّرَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَميمٍ، فرَبَّى أتباعَهُ علَى الأخلاقِ الحميدةِ، والآدابِ المجيدةِ، وسَما بِهِمْ إلَى الأفعالِ الرشيدةِ، والأقوالِ السديدةِ، فكانَتْ هذِهِ الأُمَّةُ أمَّةَ الأخلاقِ والقِيَم، ورمزَ العِزَّةِ والشِيَم.

وإنـمَّا الأمـمُ الأخلاقُ ما بقـيَتْ فإنْ هُـمُ ذهـبَتْ أخلاقُهـم ذهبُوا

قال بعضُ السلف: لكلِّ شيءٍ أساس، وأساسُ الإسلام: الخلق الحسن[1].

(١) صفة الصفوة ٢/ ٤٥٥.

وقد عرَّف العلماء حسن الخلق بتعريف جامع مانع فقالوا: هو بذل النَّدى، واحتمالُ الأذى، وطلاقة الوجه.

فبذل النَّدى: هو بذل المعروف والخير والمال، كإكرام الضيف والجار، وبذل المال للمحتاج، وخدمة الآخرين.

وقد كان نبيُّنا الكريمُ ﷺ أكرم الناس وكان لا يرد سائلًا، وكان يكون في مهنة أهله يساعدهم ويعينهم.

وأما احتمال الأذى: فهو الصبرُ على ما يلقاه من أذى الناس وجفائهم.

قال أنس رضي الله عنه: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَشْرَ سِنِينَ، لَا وَاللهِ مَا سَبَّنِي سَبَّةً قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَّا فَعَلْتَهُ»[(١)].

الله أكبر! عشر سنوات ما سبَّه أبدًا وهو مُلازمٌ له! حتى ولا قال له: أف! ولم يلمه على أي عمل عمله!

أما البعضُ من الناس فإنه يتأفف ويسب ويلوم في اليوم الواحد كثيرًا!!

وأما طلاقة الوجه: فهي البشاشةُ والابتسامةُ، يقول جابر رضي الله عنه: «ما رآني رسول الله إلا تبسم في وجهي»[(٢)].

فهذه حال رسول الله ﷺ، لا يرى أحدًا من الناس إلا تبسم في وجهه، وبعض الناس لا يُرى متبسمًا إلا نادرًا.

صاحبُ الْخلق الحسن: من أكمل المؤمنين إيمانًا، قال ﷺ:

---

(١) رواه الإمام أحمدُ بإسنادٍ صحيحٍ (١٣٠٣٤)، وأصله في الصحيحين.

(٢) البخاري (٦٠٨٩)، ومسلم (٢٤٧٥).

«**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(١).

وهو من أحَبِّ الناس إلى رسول الله، وأقربهم منه مجلسًا يوم القيامة.

قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**»(٢).

ويُدرك بأخلاقه العظيمة وحِلْمه الواسع درجة الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر، قال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»(٣).

والأخلاق الحسنة أثقل في الميزان من نوافلِ الصلاة والصيام والقيام، قال ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»(٤).

وسوءُ الخلق بلاءٌ عظيم، وشرٌّ مُستطير، يعيشُ صاحبه في همٍّ ونكد، ويَشقى به أهلُه وجيرانُه وغيرهم.

قال أبو حازم رحمه الله تعالى: «السيّءُ الخُلُق أشقى الناس به نفسُهُ التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخُلُ بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقًا منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه لَيَراه فينزو على الجدار، حتى إن قِطَّه ليفرّ منه»(٥).

(١) رواه الإمام أحمد (٢٥٠١٣)، وأبو داود (٤٧٩٨)، وصححه الألباني في التعليق على صحيح ابن حبان (٤٨٠).
(٢) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٨٥ - ١٥٣٥).
(٣) رواه الإمام أحمد (٧٤٠٢)، والترمذي (١١٦٢)، وصححه.
(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠)، وأبو داود (٤٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٧٢١).
(٥) السير (تهذيبه) ١/ ٦٣٧.

وصدق رَحِمَهُ اللهُ، فسيّئ الخلق نفسُه التي بين جنبيه لا تُطيقه، فهو في همٍّ وغَمّ، عابسُ الوجه، قليلُ التَّبسم، كثيرُ النقد، شديدُ الحقد.

اللَّهُمَّ أعذْنَا من سيّئ الأخلاق، وارزقنا تحقيقَ الإِيمَان على الوجهِ الَّذِي يرضيكَ عنَا، واغَفر لنا ولوالِدِينا ولجميع المسلمينَ يا ربِّ العالمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.





المَجلسُ العشرون

فضل العشر الأواخر وليلة القدر

الحمدُ لله الَّذِي نَصب مِن كلِّ كائنٍ على وَحْدانيتِه بُرهانًا، وتصرَّفَ في خليقَتِه كما شاءَ عزًّا وسُلطانًا، واختارَ المتقينَ فوَهبَ لهم أمنًا وإيمانًا، وعمَّ المذنبينَ بحلْمِه ورحمتِه عفْوًا وغُفرانًا.

أحمدُه حمدَ عابدٍ لربه، معتذرٍ إليه من تقصيرِهِ وذنبِه، وأشهدُ أن لا إلٰه إِلَّا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةَ مُخلِصٍ من قلبِه.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه المصطفى من حِزبِه، صلَّى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابِه ومن اهتدى بهدْيِه، وسلَّم تسليمًا.

أما بعد:

إخواني: ها هي العشرُ المباركةُ الفاضلةُ قد أقبلت، وهي التي كان النبي ﷺ إِذَا دَخَلَتْ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ. متفق عليه[(١)].

ومعنى (أَحْيَا لَيْلَهُ)؛ أَيْ: سَهِرَهُ فَأَحْيَاهُ بِالطَّاعَةِ والعبادة، (وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)؛ أَيْ: لِلصَّلَاةِ والقيام.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِيْ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِيْ غَيْرِها. رواه مسلم[(٢)].

إنها أيام الجدِّ والعمل، وتركِ الخمول والكسل، إنها أيامٌ فاضلة، وليالٍ مباركة، كيف لا، وفيها أعظمُ وأفضلُ ليلة، إنها ليلة القدر.

---

(١) البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (٢٨٤٤).
(٢) (٢٨٤٥).

قال ﷺ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**» متفق عليه[(١)].

وقد أنزل الله تعالى فيها سورةً تُتلى إلى يوم القيامة، إنها سورة القدر.

حيث قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]؛ أي: أنَّه تعالى ابْتدأ بإنزاله في رمضان، في ليلة القدر منه.

وسُمِّيتْ ليلةَ القدر، لعِظَم قدرها وفضلِها عند الله، ولأنه يُقَدِّرُ فيها ما يكون في العام، من الأجل والأرزاق والمقادير.

ثم فخَّم شأنها، وعظَّم مقدارها فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٢ ـ ٣]؛ أي: تفوقُ في فضلها على ألفِ شهر، فالعمل الذي يقع فيها خيرٌ من العمل في ألف شهر خاليةٍ منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول، حيث مَنَّ تبارك وتعالى على هذه أفرادِ الأمة قصيري الأعمار، بليلةٍ يكون العمل فيها يقابل ويزيدُ على ألف شهر، عُمْرُ إنسانٍ عُمِّرَ أكثر من الثَّمانين سنة، عَمَرها بالطاعات والأعمال الصالحات، فأيُّ فضلٍ وأجرٍ أعظمُ من هذا؟

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر: ٤]؛ أي: يكثر نزولهم في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تَنَزُّلِ البركة والرحمة، كما يتنزَّلون عند تلاوة القرآن، ويُحيطون بحِلَق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم تعظيمًا له.

﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ [القدر: ٥]؛ أي: سالمةٌ من كلِّ آفةٍ وشر، وذلك لكثرة خيرها، ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]؛ أي: بدايتُها مِن غروب الشمس، ونِهايتُها طلوعُ الفجر.

---

(١) البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (٢٨٣٣).

فالله الله بالجدِّ والحزم في هذه الأيام، فإن مَنْ حُرم خيرَها فهو المحروم حقًّا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِيهِ** ـ أي في رمضان ـ **لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»(١).

فلْنَحْرِصْ أيها الصائمون على قيامِ ليلة القدر، فإنها أفضلُ ليالي العام على الإطلاق، والموفق والسعيد من عرف قدرها، وعظَّم شأنها، فأحياها عبادةً وتضرعًا وابتهالًا، أحياها بتلاوة كتاب الله، أحياها بالذكر والاستغفار والدعاء، يشكو إلى الله همَّهُ وحزنه، يبثُّ إليه فقره وحاجته، فحريٌّ بمن هذه حاله: أن يجيب الله دعوته، ويغفرَ ذنبَه، ويسترَ عورتَه، ويرزقَه حلاوةً وأنسًا في قلبه أفضلُ عنده من الدنيا وما عليها.

ومن الحرمان العظيم: أنْ ترى كثيرًا من الناس يُضيِّعون الأوقات في الأسواق والاستراحات وغيرها، فإذا جاء وقت القيام ناموا، وهذه خسارةٌ عظيمة.

فعلى العاقل أنْ يجتهد في هذه العشر المباركة، فلعله أنْ تصيبَه نفحةٌ من نفحات الله تعالى، فيسعد بها سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا.

اللَّهُمَّ إنا نسألك بأننا نشهد ألا إلٰه إلا أنت، الواحد الأحد، الفرد الصمد، أنْ تُبلغنا ليلة القدر، وأنْ تتقبلها منا.

اللَّهُمَّ مَن اجتهد منا في هذا الشهر فارزقه القبول والثبات، ومَن قصَّر منا فارزقه التوبة والهداية قبل الممات، إنك على كل شيء قدير.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وآلِهِ وصحبِه أجمعين.

(١) رواه الإمام أحمد (٧١٤٨)، وصححه محققوه، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٥٥).



المَجلسُ الحادي والعشرون

أهميّة الاعتكاف وفوائده

الحمد لله عظم شأنه ودام سلطانه، أحمده سبحانه وأشكره عمَّ امتنانه وجزل إحسانه، أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله به علا منار الإسلام وارتفع بنيانه، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: إخواني: إن مما يشرع أيام العشر: الاعتكاف، وهو المكث في المساجدِ بيوت الله، طلبًا للأجر، وتحريًا لليلة القدر.

فعَنْ عَائِشَةَ ﵂؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. متفق عليه[(١)].

فتأمل كيف أنَّ أزواج النبي ﷺ كن يعتكفن بعده؛ لعلمهن بفضل الاعتكاف.

ويدل على منزلة الاعتكاف؛ أن النبي ﷺ لَمْ يَعْتَكِفْ فِي رَمَضَانَ في إحدى السنوات، فاعْتَكَفَ فِي الْعَشْرِ الأواخرِ مِنْ شَوَّالٍ. كما رواه البخاري[(٢)].

قَالَ اِبْن بَطَّال ﵀: مُوَاظَبَتُهُ ﷺ عَلَى الِاعْتِكَاف، تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ

(١) البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).
(٢) (٢٠٤١).

السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ، وَقَدْ رَوَى اِبْنِ الْمُنْذِرِ عَنْ اِبْنِ شِهَاب؛ أَنَّهُ كَانَ يَقُول: عَجَبًا لِلْمُسْلِمِينَ، تَرَكُوا الِاعْتِكَاف، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَتْرُكْهُ مُنْذُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ اهـ(١).

فنبغي للمؤمن أن يحيي هذه السُّنَّة، التي هجرها كثير من الناس، ينبغي له أن يعتكف ولو يومًا واحدًا، أو ليلة واحدة.

فما أجمل أن يتفرغ العبد من أشغال الدنيا ونكدها، ليتفرغ لعبادة الله، حتى لا يكون في قلبه إلا تعظيم الله ومحبته.

فالمعتكف جعل ذكر الله أنيسه، والقرآن جليسه، والصلاة راحته، ومناجاة الملك الرحيم لذته، والدعاء والابتهال متعته.

إذا أوى الناس إلى بيوتهم وأزواجهم، ورجعوا إلى أموالهم وأولادهم: لازم هذا المعتكف بيت ربه، وحبس من أجله نفسه، يقف عند أعتابه، يرجو رحمته ويخشى عذابه، لا يُطلق لسانه في لغو، ولا يفتح عينه لفحش، ولا تسمع أذنه لمحرم، قد سلم من الغيبة والنميمة، والاستهزاء والتنابز بالألقاب، استغنى بالله عن الناس، وانقطع عن أطماع الناس والدنيا الدنيئة.

قال عطاء الخرساني: كان يقال: مثل المعتكف كمثل عبد ألقى نفسه بين يدي ربه ثم قال: ربِّ لا أبرح حتى تغفر لي، ربِّ لا أبرح حتى ترحمني.

فما أجمل أن يستحضر المعتكف هذا الشعور حال اعتكافه.

قال ابن القيم: وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال

(١) شرح البخاري لابن بطال ٤/ ١٨١.

بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه. اهـ[١].

فما أحرى من هذه حالُه: أن يجد لذة الإيمان، والراحة والأنس والاطمئنان.

قال مسلم بن يسار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عَزَّ وَجَلَّ[٢].

إنها اللذة والأنس بالله، حتى ولو كان العبد فقيرًا معدمًا، فهذا إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عندما مرَّ بنهر الأرْدُن، مع صديقه أبي يوسف، وكان مع أبي يوسف كُسَيْرَاتٌ يابسات، فألقاها في النهر لتلين فأكلوها، فَدَخَل إبراهيم النَّهر حتى بلغ الماءُ إلى ركبتيه، فأخذ بكفّيه من الماء وشرب، ثم إنه خرج من النهر فمدَّ رجليه وقال: يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناءُ الملوك ما نحن فيه من النعيم والسّرور لَجَالَدُونا عليه بالسّيوف أيامَ الحياة.

الله أكبر، يجد هذه اللذة العجيبة، التي يرى أن الملوك لو علموا بها لقاتلوهم للحصول عليها، وهو لا يجد إلا كسرة خبز يابسة، ولا يقوى على أكلها إلا ببلّها في الماء!

فما أعظم لذة الإيمان، وما ألذ القناعة والرضى بالله تعالى.

وينبغي للمعتكف أنْ يعتكف وحده بقدر الإمكان، وإن اعتكف معه أحدٌ فلا ينبغي أنْ يُكثر الخلطة والحديث معهم، ولا ينبغي التوسع والإكثار من النوم والأكل، ولْيحرص على الإكثار من الصلاة والقراءة للقرآن، والذكر والاستغفار والدعاء.

---

(١) زاد المعاد٢/ ٨٢.

(٢) الحلية (تهذيبه) ١/ ٣٩٥.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حلاوة الإيمان، وأن يتوفانا على الإسلام، إنه سميع قريب مجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.





المَجلسُ الثاني والعشرون

ما هو أشد يوم مرَّ على نبيِّنا محمد ﷺ؟

الحمد لله ربِّ العالمين، قيومِ السماوات والأراضين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وسعت رحمته جميع المخلوقات، وامتدت نعمه وآلاؤه من في الأرض والسمٰوات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه، ومن سار على نهجه واستنّ بسُنَّته إلى يوم الدين.. **أما بعد:**

إخواني: سنقف الليلة مع ما ثبت في «الصحيحين»(١) مِن سؤالٍ عجيبٍ وجّهتُه عَائِشَةُ رضي الله عنها، للنَّبِيِّ ﷺ بقولِها: يا رسول الله، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

أيُّ يومٍ كان أشدَّ عليه مِنْ يومِ أُحُد، ذلك اليومُ الذي قُتل فيه عمُّه حمزةُ سيّدُ الشهداءِ، وسبعون من أصحابه، ومُثلت بجثثهم، وبُقرت بُطون كثيرٍ منهم رضي الله عنهم.

ذلك اليومُ الذي شُج فيه وجهه، وكُسرت فيه بعض أسنانه، ودخلت الحديدةُ الواقية في رأسه.

فأجابها ﷺ بقولِه: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ**، ـ أي: لقيت منهم العناء والشدَّة والأذى ـ **وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَة، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ، بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ**».

(١) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

وذلك أنه ﷺ خَرَجَ من مكة إِلَى الطَّائِفِ، رَجَاءَ أَنْ يُؤْوُوهُ وَيَنْصُرُوهُ عَلَى قَوْمِهِ الذين آذوه، وَيَمْنَعُوهُ مِنْهُمْ، فدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ ﷻ، وقرأ عليهمُ القرآن، وشرح لهمُ ما جاء به من الإسلام، فما كان منهم إلا ردُّوا قولَه، وسفَّهوا رأيه، وَآذَوْهُ مَعَ ذَلِكَ أَشَدَّ الأَذَى، وَنَالُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَنَلْهُ قَوْمُهُ.

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى رسولنا وإمامنا وقدوتنا، كم جاهد بلسانه ويده، كم بذل كلَّ ما يملكه لأجل هذا الدين العظيم، كم صبر على الأذى والظلم، والسبِّ والضرب، لأجل أنْ يُبلِّغ رسالة ربه، ولأجل أنْ يُوصلَ إلينا هذا الدين بيُسرٍ وسهولة، فها نحن نَقْطِفُ ثمراتِ جهده، ونتفيَّأُ ظلال بذله، ونتقلّب بالأمن والإيمان جرَّاء صبره.

فصلوات الله وسلامه عليه كلَّما ذكره الذاكرون، وصلوات الله وسلامه عليه، كلما غفل عن ذكره الغافلون، وحشَرَنا في زمرته وتحت لوائه، وأورَدَنا حوضه، وسَقَانا منه شربةً لا نظمأ بعدها، إنه جواد كريم.

بعد هذا الأذى النفسيِّ والجسمانيِّ، رجع مِنَ الطَّائِفِ إِلَى مَكَّةَ حَزينًا.

قال ﷺ: «**فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي**»؛ أَيْ: سرتُ دون شعورٍ لأيِّ جهةٍ سأتجه، «**فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ**»، أي: لم أنتبه حتى وصلتُ إلى قَرْنِ الثَّعَالِبِ، وهو المعروف بالسيل الكبير، الذي هُوَ مِيقَات أَهْل نَجْد.

قال: «**فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ** ؑ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، الذي أوْكَل الله أمرَ الجبال إليه»، قال: «**فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي**

رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟».

أي: إنْ أردتَ يا رسول الله، أَنْ أُطْبِقَ عَلَى أهل مكة جميعًا، جَبَلَيْ مَكَّة، حتى يَلْتَقِيَا عَلَى مَنْ بِمَكَّة، فيفنى أهلها، ولا يبقى منهم عينٌ تطرُف.

ولو عُرض هذا العرضُ على بعض الناس، ممَّن أوذي بأقلَّ من هذا الأذى بأضعافٍ كثيرة: لَبَادر بالموافقة وفرح بذلك.

أما الرؤوفُ الرحيم، والبرُّ الحليم ﷺ، الذي جاء بالرحمة والإحسان، ونبذِ الحقدِ والانتقام، فردَّ على هذا العرض بقوله ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ، مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

ما أعظمَ شَفَقَته ﷺ عَلَى قَوْمه، وما أشدَّ صَبْره وَحِلْمه، وقد قال الله تَعَالَى فيه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لِنْت لَهُمْ**﴾ وقال عنه أيضًا: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاك إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾.

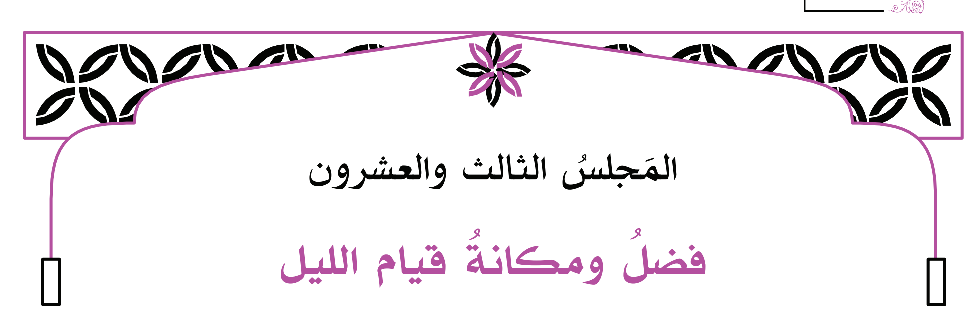
تأملوا كيف جعل النبيُّ ﷺ، ما لقيه من الأذى النفسيِّ من الكفار، أشدَّ عليه من الأذى الجسدي في معركة أُحد، والتي قتل فيها العشرات من أصحابه، وشُج وجهه، وكسرت رباعيته.

فهذا من أوضح الأدلة والبراهين، على أنَّ الدعوةَ إلى الله تعالى من أعظم الأعمال، وأنها قد تكون أشدَّ وأشقَّ من الجهادِ وقتالِ الأعداء.

فلا بدّ أنْ نعرف قيمةَ وقدرَ الدعاة إلى الله تعالى، والآمرين بالمعروفِ والناهين عن الْمُنكر.

نسأل الله تعالى أنْ يجعلنا من العافين عن الناس، وأنْ يُطهِّر قلوبنا من الغلِّ والحقد، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وآلِهِ وصحبِه أجمعين.



المَجلسُ الثالث والعشرون

فضلُ ومكانةُ قيام الليل

الحمدُ للهِ الذَّي منَّ على الصالحين بذِكره وطاعَتِه، فَرَتَعوا في رياض الجنَّة لشُغْلِهم بمحبّته وعِبَادَتِه.

وَأَشْهَدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ لَه، في ربوبيَّته وإلٰهيَّته وأسمائِهِ وصفاتِهِ، وأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدَنَا محمَّدًا عبدُه ورسولُه وصفيُّه من مخلوقاتِه، صلَّى اللهُ عليه وعلى إلٰه وأصحابِهِ وأتباعِهِ، أهلِ دينِه ووُلاته، وسلَّم تسليمًا.

أما بعد: **إخواني**: إنّ المؤمنين في هذه الأيام يلتمسون ليلة القدر، ويجدون أعظم لذة وراحة في قيامهم ومُناجاتهم، وليس في الدنيا أحدٌ أسعد منهم.

يقطعون ليلَهم بالذِّكر والصلاة، ويتلذَّذُون بطُول المُناجاة، يعرِضون حوائِجَهم لخالقهم ورازقِهم، ويُبدُون فقرَهم بين يدَي مولاهم.

شتَّان بين من يتلذَّذُون بالتلاوة والذِّكر، والْمُناجاة والقيام، وبين من يَبيتُ ليله كلّه غارقًا في نومه، أو ساهرًا على ما يُغضبُ الرب، أو مسرفًا في فضولِ المباحات.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

هل هناك لذةٌ أعظم من الوقوف بين يدي الملك الكريم الرحيم؟ تقوم بين يديه والناس غارقون في نومهم، وأنت بينهم وحيدًا غريبًا

مُتيقظًا، والله ينظر إلى حالك وهمّتك وصدقك، أفتراه يُخيّبك؟ أتظنّ بالكريم الذي له خزائن السماوات والأرض، أنْ يردّك صفر اليدين؟

لا والله، إنه سيُعطيَك ما سألت، بل وسيزيدك سرورًا وأُنسًا وجمالًا، قيل للحسن البصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمٰن، فألبسهم مِن نوره نورًا(١).

ما ألذّ حالهم في الأسحار، وهو يلهجون بالاستغفار: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨].

ما أكثر مدح الله لهم وثناءَه عليهم، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] فما هي مُكافأتهم وجزاؤهم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

يكفيهم شرفًا وفخرًا، أنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا لِيُعطيهم ما سألوا، قَالَ ﷺ: «**إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**» رواه مسلم(٢).

أليس من الخسارة أنْ يُفرط المؤمن بهذه العبادة العظيمة؟ ولذا قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بحسب الرجل من الخيبة، أن يبيت ليلته لا يذكر الله حتى يصبح، فيصبح وقد بال الشيطان في أذنه(٣).

وتعظم الخسارةُ ويشتدّ الذم، في حقّ مَنْ ترك قيام الليل بعد أنْ كان يقومُه ويُكابدُه، قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْروٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(١) مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي: ٣٠.
(٢) (٧٥٨).
(٣) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٣٢٨.

«يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»[(١)].

إن آخر الليل وقتٌ مُباركٌ، ولذا ينزل ربنا تبارك وتعالى فيه، ويُعطي فيه السائلين، ويُجيب فيه دعاءَ الدّاعين.

فهنيئًا لكم أيّها المتهجدون قرب الله تعالى منكم، وإجابته لدعواتكم.

تَرَكْتُمْ لذيذ الرقاد ذُخرًا لِيَوْمِ المعاد، تجشَّمْتُمْ القيام عن المنام ابتغاءَ الوقوف بين يدي الملك العلّام.

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم وقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع

اللَّهُمَّ اجْعلْنَا ممن صامَ الشهر، وأدركَ ليلةَ القدرِ، وفاز بالثوابِ الجزيلِ الأجرِ.

اللَّهُمَّ اجْعلْنَا من السابقينَ إلى الخيراتِ، الهاربينَ عن المنكَرات، الآمنينَ في الغرفات، مع الَّذِينَ أنعمتَ عليهم وَوَقَيْتَهُمْ السيئاتِ، اللَّهُمَّ أعِذْنا من مُضلَّاتِ الفتنِ، وجنبنا الفواحشَ ما ظهَرَ منها وما بطَن.

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا شكرَ نعمتِك وحسنَ عبادتكَ، واجْعلْنَا من أهل طاعتِك وولايتك، وآتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنَا عذَابَ النار، واغفر لنَا ولوالِدِينا ولِجميعِ المسلمينَ برحمتك يا أرحمَ الرَّاحمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى إلٰه وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).



المَجلسُ الرابع والعشرون

الأسباب الْمُعينة على قيام الليل، مع ذكر فوائده

الحمدُ لله مبلِّغ الراجِي فوق مأمولِه، ومعطِي السائِل زيادةً على سُؤلِه، المنَّانِ على التائب بصَفحِه وقَبولِه.

وأشْهدُ أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشْهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

إخواني: إنَّ لقيام الليل أسبابًا مُعينةً منها:

أولًا: دعاءُ الله والإلحاحُ عليه بأن يُعينك على القيام.

ثانيًا: تبييتُ النية قبل النوم للقيام آخر الليل، والله تعالى إذا علم صدق العبد أعانه ووفقه.

ثالثًا: عدمُ الإكثار من العشاء، وعدمُ النوم بعده مُباشرة.

رابعًا: النوم المبكر، فكيف يرجو قيامَ الليل من ينام مُتأخرًا، وهو يعلم أنّه سيصعب عليه القيام؛ لإرهاقه وعدمِ اكتفائه بنومه؟

وقد ذكر أهل الخبرة والطبّ، بأنّ «كلّ ساعةِ نومٍ، من بعد العشاء إلى منتصف الليل، تُوازي ثلاثَ ساعاتٍ من النوم العميق، وأما النوم مِن بعدِ مُنْتَصَفِ الليل، إلى قُبيل الفجر بساعتين تقريبًا، فيوجد فيها عشرون بالمائة من النوم العميق النافع، والباقي لا فائدة منه، والساعةُ منه بساعةِ نومٍ فقط.

وأما النومُ مِنْ بعد الفجر، فهو نومٌ غيرُ مفيدٍ أبدًا، وإنك تُلاحظ مَن ينام بعد الفجر، يقوم ولم يشبع من نومه، ولا يزيدُه هذا النومُ إلا خمولًا وكسلًا، وقد ثبت أنه سببٌ في انعدام البركة، وسببٌ في تشويش التفكير وانعدام التركيز»[(١)].

وذكر الموقعُ الرسميُّ للموسوعة الصحية ـ وهو موقعٌ عالميّ مُتخصصٌ في الطبّ ـ الفوائدَ الصحيةَ، التي يجنيها مَنْ يستيقظ مُبكرًا قَبْلَ الفجر، منها: أنه يحصلُ على أَعْلَى نسبةٍ لغاز الأوزون في الجو، وهو يَقِلُّ تدريجيًا حتى يضمحلَّ عند طلوع الشمس.

وقد تعجّب الأطباء من آثاره العلاجية العجيبة، فهو يشفي من كثيرٍ من الأمراض النفسية والجسدية.

ولهذا الغازِ تأثيرٌ مفيدٌ للجهاز العصبي، ومنشطٌ للعمل الفكري والعضلي، ولهذا يستشعر الإنسان عندما يستنشق نسيم الفجر، الْمعروفَ بريح الصَّبَا لذةً ونشوةً، لا شبيه لها في أيِّ ساعةٍ من ساعات النهار أو الليل.

وما ذكره هؤلاء الأطباءُ الْمُتخصّصون، هو ما جاءتْ شريعتُنا العظيمة الخالدةُ بتقريره، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ تَدَبَّرَ نَوْمَهُ وَيَقَظَتَهُ ﷺ وَجَدَهُ أَعْدَلَ نَوْمٍ، وَأَنْفَعَهُ لِلْبَدَنِ وَالأَعْضَاءِ وَالْقُوَى، فَإِنَّهُ كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَسْتَيْقِظُ فِي أَوَّلِ النِّصْفِ الثَّانِي، فَيَقُومُ وَيَسْتَاكُ، وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، فَيَأْخُذُ الْبَدَنُ وَالأَعْضَاءُ وَالْقُوَى، حَظَّهَا مِنَ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ، وَحَظَّهَا مِنَ الرِّيَاضَةِ مَعَ وُفُورِ الأَجْرِ، وَهَذَا غَايَةُ صَلَاحِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

---

(١) منقولٌ بتصرف من كلام د. حمزة الحمزاوي عن فنّ النوم.

وَنَوْمُ النَّهَارِ رَدِيءٌ يُورِثُ الأَمْرَاضَ الرُّطُوبِيَّةَ وَالنَّوَازِلَ، وَيُفْسِدُ اللَّوْنَ، وَيُورِثُ الطِّحَالَ، وَيُرْخِي الْعَصَبَ وَيُكْسِلُ، وَيُضْعِفُ الشَّهْوَةَ، إِلَّا فِي الصَّيْفِ وَقْتَ الْهَاجِرَةِ، وَأَرْدَؤُهُ نَوْمُ أَوَّلِ النَّهَارِ ـ أي: من بعد صلاة الفجر ـ، وَأَرْدَأُ مِنْهُ النَّوْمُ آخِرَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ..» اهـ[1].

ولقيام الليل فوائدُ عظيمة، وثمارٌ كثيرةٌ، منها:

أولًا: أنّه دليلٌ على البعد عن الرياء والنفاق؛ لأنه لن يراه ويسمعه إلا علام الغيوب، قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يقال: قلما ساهرٌ بالليل منافق[2].

ثانيًا: أنّ فيه لذةً وأُنسًا لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد وجد ذلك السلف والخلف، فقد كان ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ يقوم الليل ويقول: ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل[3].

ثالثًا: أنّ قيام الليل يُهَوِّنُ على العبد الوقوف يوم القيامة، قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: من أطال قيام الليل، هوَّن الله عليه وقوفَ يوم القيامَة[4].

نسأل الله تعالى أنْ يجعلنا من السبّاقين للخيرات، الْمُدركين أعلى الدرجات، إنه على كلّ شيءٍ قدير.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) زاد المعاد ٤/ ٢٢١.
(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢.
(٣) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٧.
(٤) السير (تهذيبه) ٢/ ٦٨٣.



المَجلسُ الخامس والعشرون

قصة الخلاف بين أبي بكرٍ وعمر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

إخواني: لقد جاءت مُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ عن آداب الخلاف، وكيف نختلف، وعن صفاء القلوب، وعدمِ التهاجر والتقاطع، فلْنستمع إلى قصَّةٍ لَخَّصت ذلك كلَّه، وهي رسالةٌ إلى كلِّ مُتخاصِمَينْ ومُتهاجِرَيْن، رسالةٌ إلى من بدَرتْ منه زلَّةٌ في حقِّ أخيه المسلم، فإذا لم تُؤثر فيه هذه القصةُ العظيمة، فما الذي سيُؤثر فيه؟

أخرج البخاري[(١)] وغيرُه، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما مُحَاوَرَةٌ؛ أي: كلامٌ وجدال، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ.

رضي الله عن أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وجمعنا بهم في جنات النعيم.

هذان الصحابيان الجليلان، اللذان هما أفضلُ الناس بعد النبيِّين

---

(١) (٣٦٦١).

والْمُرسلين، يَحدُث بينهما من الخلاف وسوءِ التفاهُم، بل والغضبِ وإغلاقِ الباب في وجه صاحبه، كما يحدث من جميع الناس، والذي يُميِّزُهم عن جميع الناس، أنَّ هذا الخلاف الشديدَ لا يدوم طويلًا، ولا يُحدث فُرقةً وعداوة، بل لا يزيدُهما ذلك إلا محبَّةً وأُلفةً وصلة.

فهذا الصِّدِّيقُ أَبُو بَكْرٍ ﵁، يَطلبُ من الفاروق أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ ويُسامحه، فَلَمْ يَفْعَلْ ذلك، بل وأَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ.

فما موقفك أيها الْمُؤمن لو فُعل بك ذلك، ما موقفك لو واجهكَ أخوك أو صديقُك بمثل هذا؟ ربما ستقطعه وتكرهه، ولو اعتذر إليك بعدها وتأسَّف: فلن تقبل عذره وأسفه إلا أنْ يشاء الله، ولو قبِلْتَ عذره: لبقي في قلبك مَوجِدةٌ وحَنَقٌ عليه إلا من رحم الله.

انظروا ماذا حصل بينهما بعد ذلك، فحينما رأى أبو بكرٍ من عمر ﵄ هذا الردّ: أصبح مهمومًا حزينًا، وكأن الجبال على عاتقَيْه، أتدرون لماذا؟ ليس لما لاقاه من جفاء عمر، بل خوفًا أنْ يكون قد آذاه، أو بَدَرَ منه شيءٌ أساء إلى صديقه، فما كان منه إلا أنْ أَقْبَلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، من شدَّةِ الهمّ والغمّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**»؛ أَيْ: خاصَمَ، فَجاء وسَلَّمَ ثم قَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ ﷺ: «**يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلَاثًا.

فما كان من عُمَرَ الفاروق، إلا أنْ نَدِمَ على فعله، وأحسّ بحرقةٍ تجاه تصرُّفه.

فأين هذا ممن يتكلَّمُ على صديقه أو أخيه بكلام سيِّءٍ، أين مَن يُغضب صاحبه ويُكدِّر خاطره، ثم يَمضي على وجهه كأنَّ شيئًا لم يكن، لا يسأله مغفرةً وعفوًا، أو يستسْمِحُه ويُطيِّبُ خاطره.

فعندما ندم عمرُ رضي الله عنه، أَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ مهمومًا فَسَأَلَ: أَثَّمَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فازداد همًّا وغمًّا، فما كان منه إلا أنْ توجّه إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مهمومًا حزينًا، فَسَلَّمَ عليه، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ؛ أي: يتغيَّر من الغضب والحنق، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ على عمرَ رضي الله عنهما، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، بدأ يُدافع ويُحاجج عنه، بل ويحلف بالله أنه كان أظلم، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُون لِي صَاحِبِي؟**» قال: فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

ما أعظم قلوب الصحابةِ رضي الله عنهم، وسرعةَ عفوهم ومُسامحتهم للمخطئ، مهما بلَغَ وعظُمَ الخطأ، فالصِّدِّيقُ قبِل اعتذار الفاروقِ رضي الله عنهما، بل وجعل يُدافع ويُنافح عنه.

فما أجمل أنْ نعفوَ عن الآخرين، وأنْ نقبل عذر من اعتذر إلينا، وأنْ نُسامح من طلب المسامحة منا، وكلَّما عفا العبدُ رفع الله قدره، وضاعف أجره، قَالَ ﷺ: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**» رواه مسلم[1].

اللَّهُمَّ ارض عن أبي بكرٍ وعمرَ والصحابة أجمعين، واجمعنا بهم في جنات النعيم، إنك سميعٌ قريبٌ مجيب.

اللَّهُمَّ حسِّن أخلاقنا، وألِّف بين قلوبنا، وارفع درجاتنا يا ربِّ العالمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى إله وصحبه أجمعين.

---

(١) (٢٥٨٨).



المَجلسُ السادس والعشرون

مَن هو خير التابعين؟

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرًا.

أما بعد: **إخواني**: سنقف هذه الدقائقَ مع خير التابعين، الذي فاق غيرَه بصفاتٍ قلَّ مَن اتَّصف بها، وبأخلاقٍ ندر من جمعها، ليس هو عالمهم، بل ولا هو مِن علمائهم، وليس هو بأكثرهم صلاةً وصيامًا وعبادة، ولم يكن من الْمُقاتلين الْمشهورين في الجهاد، ولم يكن داعيةً يجوبُ أقطار البلاد.

إذن! كيف أصبح خيرَ التابعين، وبشهادةِ مَنْ حاز على هذا الوصفِ العظيم؟.

لنستمعْ إلى خبره وقصَّته، التي رواها مسلمٌ في «صحيحه»[(١)]؛ أنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁، كَانَ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ ـ وهُمُ الْجَمَاعَة الْغُزَاة، الَّذِينَ يَمُدُّونَ جُيُوش الْإِسْلَام فِي الْغَزْو والجهاد ـ فكَانَ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ هؤلاءِ الْمُجاهدون سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ وهكذا

(١) (٢٥٤٢).

دأبُه كلَّ سنةٍ، لا يكلُّ ولا يملُّ، وفي سنةٍ من السنوات، وبينما هو يسألُ أهلَ اليمن عنه، إذا به يُفاجأ بأنه معهم، ففرح بذلك وسأله: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ**، وفي روايةٍ: **هو خَيْرُ التَّابِعِين**[١]، **لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**» فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ أي: ألا أُرسل إلى واليها فيهتمّ ويعتني بك؟ فرفض ذلك وقَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ؛ أَيْ: مع ضُعَفائهمْ وَعوامِّهم، وَهَذَا مِنْ كراهته للشهرةِ، وَحبِّه لكَتْمانِ حَاله.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ فقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، فأخبره عمرُ ﵁ بما قال ﷺ في حقِّه، فتعجَّب من ذلك، فلما رجع من سفره أَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي أنت، قَالَ الرجلُ: بل اسْتَغْفِرْ لِي أنت، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، ثم قَالَ أويسٌ حينها: هل لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، واشْتهر خَبَرُه، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ؛ أي: أخفى أمر نفسه وابتعد عن مُخالطة الناس؛ لئلا يشتهر مخافة الفتنة.

والذي جعل أويسًا بهذه المنزلة الرفيعة، والمكانة العظيمة، التي جعلتِ النبيَّ ﷺ يُوصي عمرَ الفاروق، الذي لا تُحصى فضائله، ولا تُعدُّ مناقبه، ويكفيه شرفُ الصحبة، وقتالُه وجهادُه معه، وأنه زوَّجه ابنته، وأن

(١) رواه مسلم (٦٦٥٥).

القرآن أيَّده في عدَّة مواضع، إلى غير ذلك من مناقبه، ومع ذلك أوصاه النبي ﷺ أنْ يطلب من تابعيٍّ، لم ينل واحدةً من هذا المناقب أنْ يستغفر له! والذي يظهر من سياق القصة، أن السبب الذي تميَّز به أويسٌ عن غيره من الناس، ما تحلَّى به مِن أخلاقٍ وخِصالٍ عظيمة:

الأولى: برُّه بوالدته، حتى جعلتِ النبيَّ ﷺ يذكرها له.

الثانية: بُعده عن الشهرة والبروز، ورغبته أن يكون مع ضعفاء الناس وأوساطهم.

ففي «صحيح مسلم»[(١)]: أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ.

قال النووي رحمه الله: أَيْ: يَحْتَقِرهُ وَيَسْتَهْزِئ بِهِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُخْفِي حَاله، وَيَكْتُم السِّرّ الَّذِي بَيْنه وَبَيْن الله عز وجل، وَلَا يَظْهَر مِنْهُ شَيْءٌ يَدُلّ لِذَلِكَ، وَهَذِهِ طَرِيق الْعَارِفِينَ، وَخَوَاصّ الأَوْلِيَاء رضي الله عنهم. اهـ.

الثالثة: زهده في الدنيا، وعدمُ مُبالاته بزخرفها، فكان لا يأبه بجمال بيته، وتحسين أثاثه، لأنَّ همَّه إصلاحَ السريرةِ والدين، لا إصلاحَ الحجارةِ والطين.

الرابعة: تواضُعُه وهضمُه لنفسه، وأنها لا تساوي عنده شيئًا، بل إنَّه من شدَّة تواضعه وعدمِ اعتداده بنفسه: تجرَّأ عليه بعضُ السفهاء بالسُّخرية كما تقدّم.

بتواضعه وهضمِه لنفسه: أصبح العظماءُ يذكرونه ويُثنون عليه، بل ويتواصون فيما بينهم أنْ يستغفر لهم.

كان حريصًا على إخفاء نفسه وعدمِ إظهارها، فأبى الله إلا أنْ يُظهر فضائله، ويُعليَ ذكره.

---

(١) (٦٦٥٤).

كان لا يرفعُ نفسَه على غيرِه، فأعزَّه الله ورفعه، (ومَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ).

بهذه الصفاتِ العظيمةِ، والأخلاقِ النبيلة: نال أويسٌ هذا الفضل العظيم، والثناء الجزيل، من رسول الله ﷺ، ومن الفاروق عمر، بل إنه أصبح خيرَ التابعين.

وهذه الأخلاق الطيبة، لو كانت واحدةٌ منها عند أحدنا، لارتفع وشَرُفَ بها، فكيف إذا اجتمعت كلُّها في رجلٍ واحد.

نسأل الله تعالى أنْ يُصلح قلوبنا، ويُحسِّن أخلاقنا، ويغفرَ ذنوبنا، ويرفعَ درجاتِنا، وأنْ يتقبل منَّا صيامنا وقيامنا وسائرَ أعمالنا، إنه جوادٌ كريم.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى إلٰه وصحبه أجمعين.





المَجلسُ السابع والعشرون

ما أرحم الله!!

الحمد لله ربِّ العالمين، قيومِ السماوات والأرضين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وسعت رحمته جميع المخلوقات، وامتدت نعمه وآلاؤه من في الأرض والسمٰوات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى إلٰه وذريته، وصحابته وأتباعه، ومن سار على نهجه واستنّ بسُنَّته إلى يوم الدين..

أما بعد: **إخواني**: إن الحديث عن رحمة الله تعالى يغرس في القلوب حسن الظن بالله، وحسن الرجاء بما عند الله، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله.

قَالَ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** ﷻ» رواه مسلم.

وإن من العجب أن الله ما أنزل إلا رحمةً واحدة من رحماته، فبها يتراحم الجميع، وبها تعطف الوحوش على أولادها.

قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ**». رواه البخاري.

وعند مسلم: «**إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ**

وَالإِنْسِ، وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

نسأل الله تعالى أن تشملنا هذه الرحمات يوم القيامة.

ما أعظم ربّنا سبحان الذي يُحب الرحمة والمغفرة، والستر والتوبة.

قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**». رواه البخاري.

بل إن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

رأى النبي ﷺ، امْرَأَةً أضاعت طفلها، وهي تحن وتبكي على فقده، حتى وجدته، فَأَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**». قَالوا: لَا وَاللَّهِ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**». متفق عليه.

أيها المسلمون: خذوا صورةً من صور رحمة الله يوم القيامة، حيث تظهر في ذلك اليوم الرحمات، وتتجلى الأعطيات والهبات.

ثبت في «صحيح مسلم»(١)؛ أنَّ الله تعالى يأذن للمؤمنين بالشفاعة للعصاة يوم القيامة، ويأمرهم أنْ يُخرجوا من النار «**من في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا**». «**فَيَقُولُ اللهُ** ﷻ: **شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ**

(١) (١٨٣).

يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ، فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ.

فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

إنها رحمة أرحم الراحمين، وكرمُ وجودُ أكرم الأكرمين، وتأملوا كيف قال الله تعالى: ولم يبق إلا أرحم الراحمين، حيث اختار هذا الاسم من بين أسمائه الحسنى، لظهور وأثر هذا الاسم في ذلك اليوم، نسأل الله الرحمة والمغفرة.

إخواني: إذا كان ربنا تبارك وتعالى رحيمًا يُحب الرحمة والرأفة، ورحمتَه سبقت غضبه، وهو أرحم من الوالدة بولدها، وإذا كان أحبها لنفسه، وجعلها صفة من صفاته، فإنه قد أحبها لعباده، وأمرهم بلزومها والاتصاف بها، فوعد وحذَّر من اتصف بضدها.

قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ لا يَرْحَم النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ الله**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

فمن لا يرحم خادمته، ومن لا يرحم موظفيه، ومن لا يرحم العمالة الوافدة، الذين تغربوا لأجل لقمة العيش، ومن لا يرحم زوجته المسكينة المظلومة، من لا يرحم هؤلاء لا يرحمه الله.

اللَّهُمَّ طهِّر قلوبنا من القسوة، ونَقِّها من الغلظة، واملأها بالعطف والرحمة، وارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واغفر ذنوبنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



المَجلسُ الثامن والعشرون

بعض المسائل المتعلقةِ في القضاء

الحَمْدُ لله الدَّاعي إلى بابه، الموفِّق من شاء لصوابِهِ، أحمده على الهدى وتَيسيرِ أسبابِه، وأشهد أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحدَه لا شَريكَ له شهادةً أرْجو بها النجاةَ مِنْ عقابِه، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أكمَلُ النَّاس عَملًا في ذهابه وإيابه، صلَّى الله عليه وَعَلَى إلٰه وأصحابه ومنْ كان أوْلَى بِهِ، وسلَّمَ تسليمًا.

أما بعد:

إخواني: ها نحن على مشارف وداع شهر رمضان، شهر الصيامِ والقرآن، وهذه سُنَّة الله تعالى في الحياة، نسأل الله تعالى أنْ يتقبل منا الصلاة والصيام، إنه جواد كريم.

وينبغي لنا أنْ نعرف مسائل مهمةٍ في قضاء صوم رمضان.

فمن أفطر في نهار رمضان يومًا أو أكثر لعذر فينبغي له أنْ يقضيَه مُتَتَابِعًا؛ لأنه أسرع في إبراء الذمة، لكنَّه لا يجب عليه ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فيجوز أن يقضيه في أيِّ شهرٍ متتابعًا ومتفرقًا، بشرط ألَّا يكون الباقي من شعبانَ بقدر ما عليه، فإذا بقي من شعبان بقدر ما عليه: فحينئذٍ يلزمه أن يقضيه متتابعًا.

والمبادرةُ بقضاءِ رمضانَ: أفضلُ من التأخير، لأنَّ الإنسانَ لا يدري ما يَعرضُ له، وَلَا يَجُوزُ تأخير القضاء إِلَى ما بعد رَمَضانٍ آخَرَ مِن غَيْرِ عُذْرٍ، فإن أخَّره لعذرٍ فلا بأس.

ومَن أفطر في رمضان بسببِ المرض، فإنْ كان مرضُه مرضًا مُعتادًا، يُرجى شفاؤه كالزكام والصداع الشديد: فإنه يَنتظِر حتى يُشفى لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فلو استمر به المرض حتى مات: فلا شيء عليه، ولا يُطعَم عنه؛ لأن الواجب عليه القضاءُ، وهو لم يتمكنْ من ذلك ولم يقدرْ عليه، ولا يُكلِّف الله نفسًا إلا وسعها.

لكنْ متى ما عُوفي وشُفي: فينبغي له أنْ يُبادر بالقضاء، فإنْ أخَّره بدون عذر، ثم مات قبل أن يقضي ما فاته: فإنه يُطْعَم عنه كلَّ يومٍ مسكينٌ بعد موته، من تركته أو من مُتَبَرِّع.

أما إنْ كان المرضُ الذي أصابه لا يُرجى زواله وشفائه، كالكبر، ومرضِ السرطان وغيرِه من الأمراض التي لا يُرجى زوالُها غالبًا: فالواجب عليه أنْ يُطعِمَ عن كلِّ يومٍ مسكينًا.

ولو قُدِّرَ أن الله تعالى عافاه، والله على كل شيء قدير، فلا يلزمه أن يصوم؛ لأنه يجب عليه الإطعام وقد أطعم، فبرئت ذمته وسقط عنه الصيام.

ومَن أخَّر القضاء إلى ما بعد رمضان الثاني بلا عذر، فلا يلزمه أكثرَ من الصيام الذي فاته، إلا أنه يأثم بالتأخير، ويجب عليه التوبةُ إلى الله من هذا التأخير.

واعلموا أنَّ من شرع في صيام القضاء، فإنه يَحْرُمُ عليه قطعه، ويلزمه إتمامه إلا لعذرٍ شرعي؛ كالمرض والسفر؛ لأن القضاء يحكي الأداءَ كما قال الفقهاءُ.

وأما صوم التطوع فيجوز قطعه؛ ودليل ذلك: ما رواه مسلمٌ في

«صحيحه»[(١)]، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ فَقَالَ: «**أَرِينِيهِ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا**» فَأَكَلَ منه.

ومَن كان عليه قضاءٌ مِن رمضان: جاز له أنْ يصوم النَّفل قبل قضائه، ما لم يضق الوقت.

ومن مات وعليه صومٌ واجب: فإنه يُسْتَحبُّ لوليه قضاؤه، لكنَّه لا يجب، لقول النبي ﷺ: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**» متفق عليه.

ولا يلزم أَنْ يقتصر ذلك على واحدٍ من الورثة، فلو قُدِّر أن الرجلَ له خمسةَ عشرَ ابنًا، وأراد كلُّ واحدٍ منهم أن يصوم يومين عن ثلاثين يومًا: فيجزئ، ولا فرق بين أن يصوموها في يومٍ واحد، أو إذا صام واحدٌ صام الثاني اليوم الذي بعده، حتى يُتموا ثلاثين يومًا.

ومَن لم يتمكن من صيام الأيامِ الستةِ في شوال، لعذرٍ كمرضٍ أو قضاءِ رمضان كاملًا حتى خرج شوال: فإنه يقضيها ويُكتب له أجرها بإذن الله..

نسأل الله أن يفقهنا في ديننا، ويعلمنا ما ينفعنا، إنه سميع قريبٌ مجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى إلٰه وصحبه أجمعين.



(١) (١١٥٤).



المَجلسُ التاسع والعشرون

أحكام صلاة العيد وزكاة الفطر

الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، فشرح به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعينًا عُميا، وآذانًا صما، وقلوبًا غلفا، صلى الله عليه، وعلى إلٰه وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

إخواني: بالأمس القريب كُنَّا نستقبل شهر رمضان، وها هو قد أزف رحيله، وحان وداعه، فماذا أودعناه من العمل؟ فهنيئًا لمن كان من المقبولين فغُفر له، وويل لمن كان من المفرطين المسيئين.

واعلموا أنّ الله تعالى شرع لنا في ختام الشهر أعمالًا صالحة، نَجبر بها نقص صيامنا، ونزداد بها قربًا إلى ربنا.

فأولُ ما شَرع لنا: التكبيرُ من غروب الشمس ليلةَ العيد إلى وقت إقامةِ صلاة العيد، يجهر بها الرجال في المساجد والبيوت والأسواق، وتُسر بها النساء، نُكبر الله على ما هدانا ووفقنا له من الصيام والقيام، وغيرها من الطاعات.

والتكبير في عيد الفطر آكد من التكبير في عيد الأضحى؛ لأن الله نَصَّ عليه في القرآن فقال: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فيُسَنُّ التكبير المطلق، من غروب الشمس آخرِ يوم من رمضان، إلى أن يكبر الإمام للصلاة.

والتكبير المقيدُ بأدبار الصلوات المفروضة يُسن في عيد الأضحى لا في عيدِ الفطر.

وثانيها: زكاة الفطر، والحكمة من وجوبها، ما ذَكره ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: فرض رسول الله ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ، طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ(١).

فهي شكرٌ لله عَزَّ وَجَلَّ على إتمام الشهر، وطُعمةٌ للمساكين في هذا اليوم، الذي هو يوم عيد وفرح وسرور، فكان من الحكمة أن يُعطَوا هذه الزكاة؛ من أجل أن يشاركوا غيرهم في الفرح والسرور.

فيجب على كل مسلم قادرٍ أن يُخرج صاعًا من طعام، ووقتها من قبل العيد بيوم أو يومين، وفجرِ يوم العيدِ إلى وقت إقامة صلاة العيد.

ومن شرط الصاع أن يكون زائدًا عن حاجته وحاجة عياله وحوائجه الضروريَّة.

ويكون من طعام البلد المعتاد، ولا يجوز إخراج المال بدلًا عن الطعام.

فقد ثبت عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ(٢).

---

(١) رواه أبو داود (١٦١١)، وحسنه الألباني.
(٢) متفق عليه، البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٢٣٢٥).

فزكاة الفطر واجبة على الإنسان بنفسه، فتجب على الزوجة بنفسها، وعلى الأب بنفسه، وعلى الأبناء البالغين بأنفسهم، ولا يجب عليك أن تؤديها عن غيرك، إلا عن أولادك الصغار.

وهي صاع من طعام فقط، وكلما كان الطعام أطيب كان أفضل وأعظم أجرًا لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢].

ويستحب إخراج زكاة الفطر عن الجنين، الذي نُفخ فيه الروح..

ويجوز إخراجها قبل العيد بيومين فقط، لما ثبت في «صحيح البخاري»[(١)]؛ أن الصحابة ﷺ، كَانُوا يُعْطُونَها قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ.

وأفضل وقتٍ لإخراجها: يوم العيد قبل صلاة العيد، لقول ابْنِ عُمَرَ ﷺ: وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ[(٢)].

ويحرم ولا يُجزئ إخراجها بعد صلاة العيد.

وإذا أخَّرها لعذر، كما لو وكَّل أحدًا في إخراجها عنه ولم يفعل، أو نسي إخراجها بنفسه، فهذا يقضيها غيرَ آثم، ولو بعد فوات أيام العيد، وذلك قياسًا على الصلاة، لقول النبي ﷺ: «**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها**»[(٣)].

وينبغي أن يُعلم أن زكاة الفطر تُخرجُها في البلد الذي أنت فيه، فلو سافرتَ إلى بلدٍ فأدّ زكاة الفطر في البلد الذي سافرت إليه، وكذلك الأضحية أيضًا؛ لأنهما من الشعائر الإسلامية التي ينبغي أن تُقام في كل بيت.

ويجوز أن يُعطى الجماعةُ ما يلزم الواحد، فيُفرَّق على المجموعة

(١) (١٥١١).
(٢) متفق عليه، البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٢٣٢٥).
(٣) رواه مسلم (١٥٩٨).

فطرةٌ واحدة، وكذلك العكس، يجوز أن يُعطى الواحد ما يلزم الجماعة.

فإذا كان عندك فطرة واحدة، فيجوز لك أن تُعطيها عشرة فقراء، وإذا كان عندك عشر فطر، فإنه يجوز لك أن تُعطيها لفقير واحد.

وينبغي التنبيه على خطأ يقع فيه كثيرٌ من الآباء، حيثُ يُخرجون زكاة الفطر عن أبنائهم، ولا يُعلمونهم بها، ولا يَعرف الأبناء عن هذه الشعيرة العظيمةِ شيئًا، ولم ينْووا إخراجها بأنفسهم، فينشؤون دون معرفةٍ لها. والأوْلى: أن يُحضر زكاة الفطر عندهم، ويُعطي صاع الزكاة لكلِّ واحدٍ منهم، ويشرحَ لهم فائدتها وأهميَّتها، ويأمرَهم بأن يُخرجوها للفقير بأنفسهم، فيتعودوا على البذل والعطاء، ويتلمسوا بأنفسهمُ المحتاجين والفقراء، وإن صعب عليهم ذلك، فيُخبرهم بأنه سيخرجها نيابةً عنهم.

ومما شُرع لنا في ختام الشهر صلاةُ العيد، فقد أمر بها رسول الله ﷺ أمته رجالًا ونساءً، وأمر النساء أن يخرجن إلى صلاة العيد حتى الحُيَّض، ولكن يعتزلن المصلى، مع أن البيوت للنساء خير فيما عدا هذه الصلاة، مما يدل على تأكد هذه الصلاة، بل لقد قال كثيرٌ من العلماء: إن صلاة العيد فرض عين يجب الخروج إليها(١)، والسُّنَّة تأخير صلاة عيد الفطر قليلًا، حتى يتمكن الناس من إخراج زكاة الفطر في الوقت الفاضل.

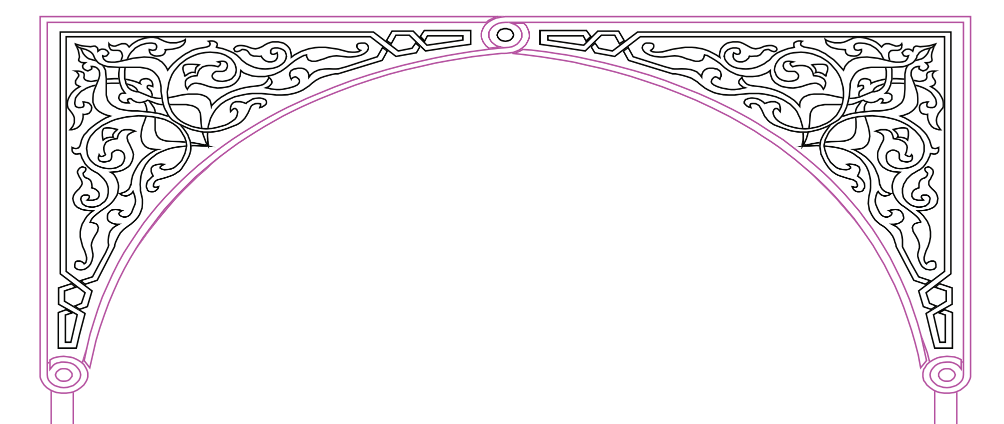
سلام من الرحمٰن كلَّ أوان على خير شهرٍ قد مضى وزمان
سلام على شهر الصيام فإنه أمانٌ من الرحمٰن أيُّ أمان
ترَحَّلت يا شهر الصيام بصومِنا وقد كنتَ أنوارًا بكلِّ مكان

(١) التجريد لاختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٠، الشرح الممتع ٥/١١٦.

نسأل الله تعالى أن يتقبل صيامنا وقيامنا، وأن يتجاوز عن تقصيرنا، إنه سميع مجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وآلِهِ وصحبهِ وأتْبَاعهِ إلى يوم الدِّين.





مجالسُ ما بعد صلاة العصر



المَجلسُ الأول

العناية بالفقراء والمساكين (أ)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى إلٰه وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: معاشر الصائمين: إنَّ مِن أعظم الأعمال التي تُقرِّب إلى الله تعالى، وتملأُ القلب أنسًا وسرورًا: حبَّ المساكينِ والفقراء، والعنايةَ بهم، وسدَّ حاجتهم.

فقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، لا يأكل طعامًا إلا وعلى مائدته يتيم(١).

وهذا إمام هذا الزمان، ابنُ بازٍ عليه الرحمةُ والرضوان، لا يأكل إلا مع الفقراء والمساكين، حتى ضاق ذرعًا بعضُ الأغنياء والوجهاء، وقالوا لمن حول الشيخ: كلموا الشيخ، بأننا نريد الشيخ أن يجعل طعامًا للفقراء، وأن يجعل طعامًا للخاصة ونجلس معه، ونتحدث معه!

فغضب الشيخ رحمه الله تعالى لذلك غضبًا شديدًا، ثم قال: الذي لا يعجبه، وتأبى نفسه أن يأكل مع الفقراء ليس بمجبور، ما أجبرنا أحدًا، يخرج يأكل مع أهله، أما أنا فلن أُغيِّر من طريقتي شيئًا(٢).

وعن المرُّوذي، قال: لم أر الفقيرَ في مجلسٍ أعزَّ منه، في مجلس

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٢٧٠.

(٢) معالم تربوية من سيرة الإمام عبد العزيز ابن باز: ١٣.

أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ. كان مائلًا إليهم، مُقصِّرًا عن أهل الدنيا[(١)].

فلْنحرص على العناية بهم، وإكرامهم وإغنائهم، خاصةً في هذا الشهر العظيم.

فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ» متفق عليه[(٢)]

ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) السير (تهذيبه) ٢/ ٩٢٩.

(٢) البخاري (٣٢٢٠)، ومسلم (٢٣٠٨).



المَجلسُ الثاني

العناية بالفقراء والمساكين (ب)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى إلٰه وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: معاشر الصائمين: إن مَن يرحمُ ويُحبُّ المساكين، ولا يجد حرجًا مِن مجالستهم والأكل معهم، لهو دليلٌ على صدقِ وقوةِ إيمانه؛ لأنه لا يرجو منهم شيئًا، بل يرجو ما عند الله تعالى.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حب المساكين أصل الحب في الله تعالى؛ لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يُحَبَّون إلا لله عَزَّ وَجَلَّ، والحبُّ في الله من أوثق عرى الإيمان، ومن علامات ذوق حلاوة الإيمان، وهو صريح الإيمان، وهو أفضل الإيمان(١). اهـ.

وإنَّ محبةَ المساكينِ لها فوائد كثيرة:

منها: أنها توجب إخلاص العمل لله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يُرجى غالبًا.

ومنها: أنها تزيل الكبر، فإن المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين.

ومنها: أن مجالسة المساكين، توجب رضا من يجالسهم برزق الله عَزَّ وَجَلَّ، وتَعظمُ عنده نعمةُ الله عَزَّ وَجَلَّ، بنظره في الدنيا إلى من دونه،

(١) الجامع المنتخب / ٧٧.

ومجالسةُ الأغنياء توجب التسخط بالرزق، ومدَّ العين إلى زينتهم وما هم فيه. وقد نهى الله ﷻ نبيِّه ﷺ عن ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

فلْنحرصْ أيها الصائمون الكرامُ ونحن في شهر البذل والرحمة والعطاء، على إحياء هذه العبادة العظيمة، ولْنفتحْ أبوابنا لتفطير الصائمين من المساكين، من العمالةِ والوافدين.

ولْنساهم في مشاريعِ تفطيرهم، الذي تقومُ بعضُ الجهاتِ الخيرية الرسميّة.

اللَّهُمَّ تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) الجامع المنتخب / ٨٥ ـ ٨٨.



المَجلسُ الثالث

أخلاق وتعامل نبيِّنا ﷺ مع أهله (أ)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: معاشر الصائمين: كان رسولُنا ﷺ أعظم قدوةٍ داخل بيته ومع زوجاته.

سُئلت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ فقَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ». رواه البخاري[(١)].

أي: يُساعدهم في أشغالهم، ويُعينهم على حوائجهم.

وكان يخدم نفسه؛ أي: يقوم بكفاية نفسه وحاجيَّاته، من إصلاح نعله، وخياطة ثوبه، وحلبِ شاته، كلُّ هذه الأعمال التي يندر أنْ يقوم بها أحدٌ من الرجال، يقوم بها أعظم وأكرمُ الأنبياء والرُّسل.

وكان ﷺ كثيرَ المزاح في بيته، حتى وإنْ كان مريضًا مُتعبًا، تقول عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ، وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهْ قَالَ: «**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ**» ثم قَالَ: «**مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ؟**» قُلْتُ: لَكَأَنِّي بِكَ وَاللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ، قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ بُدِئَ فِي

(١) (٦٧٦).

وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. رواه البخاريُّ وغيره[١].

تأملوا في هذا اللطف العظيمِ والأخلاقِ الرفيعة، كيف يُداعب زوجته وهو في مرض موته ووجع رأسه، بل وهو راجعٌ من جنازةٍ، فإذا كان يُعاملها وهو في هذه الحالة التي لا تنشط النفسُ فيه لمثل ذلك، فكيف به في حال صحته وعافيته؟

فالحمد لله الذي شرّفنا به، وجعلنا ننهل من معينه الصافي في جميع شؤون حياتنا، ونستمد منه النور والْهدايةَ.

فاللَّهُمَّ زدنا متابعةً لهديِه، وفخرًا بالاقتداءِ به ﷺ.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (٥٦٦٦)، مسند الإمام أحمد (٢٥٩٠٨)، وهذا لفظ الإمام أحمد.



المَجلسُ الرابع

أخلاق وتعامل نبيِّنا ﷺ مع أهله (ب)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: كان ﷺ في بيته يرى ما لا يُعجبه من أزواجه، بل ورُبَّما حصل من إحداهنّ تصرُّفٌ سيِّئٌ في حقه، ومع ذلك كان يتعامل مع هذه المواقف بالحلم والرفق.

روى البخاريُّ في «صحيحه»[(١)]؛ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مرَّةً عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بإناءٍ فِيه طَعَامٌ، فغارتْ زوجته هذه التي هو فِي بَيْتِهَا، فَضَرَبَتِ يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَ الإناء فَانْكسر.

يا له من موقفٍ ما أصعبه على نفوس الرجال، وما أحراه أنْ يكون سببًا للخصام والطلاق أيضًا، فماذا فعل النبيُّ ﷺ مع هذه المرأةِ، التي تجرَّأت على هذا الفعل؟

جعل يجمَعُ ما تناثر من أجزاء الإناء الْمكسور، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيه الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِيه وَيَقُولُ: «**غَارَتْ أُمُّكُمْ**».

ثُمَّ قَالَ: «**كُلُوا**»، وكأنَّ شيئًا لم يكن، فَأَكَلُوا وشبعوا، فلما انتهوا، دَفَعَ إِلَى الخادم إناءً آخر وقال: «**إناءٌ بإناءٍ**»، وَتَرَكَ الْمَكْسُورَ في بيت التي كسرته، وانتهت المشكلةُ بهذا التصرُّف الحكيم.

---

(١) (٥٢٢٥).

بل ربَّما أكثر نساؤه من مُطالبتهنّ في النفقة، وألحمن عليه أنْ يُعطيَهنْ من المال والمتاع، كما يحصل للأزواج غالبًا، وهو لا يملك ذلك ولا يجده، فلم يكن يزجرهنّ ويعيب عليهن هذا الإلحاح.

بل إِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، وتُرَاجِعُه الأخرى حَتَّى يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ؛ أي: تُرَادُّه فِي الْقَوْل وَتُنَاظِره، حتى يغضب من ذلك.

كما ثبت ذلك في «الصحيحين» وغيرهما[١].

فلْنتأس ـ معاشر الصائمين الكرام ـ بتعامله الراقي مع زوجاتِه، فقد جرّبنا طرقًا كثيرةً لعلاج المشاكل الزوجيّة، فعلينا بالسير على هديه، والاقتداءِ بتعامله وخُلُقِه، فسوف نرى التَّغَيُّرَ في حياتنا الأسرية والزوجيّة، وسوف تتلاشى الخلافاتُ والْمُنَغِّصات بعونِ الله وتوفيقِه.

نسأل الله تعالى أنْ يُوفقنا لاتباعِ سُنَّته، والثباتِ على مِلّته، إنه على كلّ شيءٍ قدير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (٥١٩١)، ومسلم (٣٧٦٨).



المَجلسُ الخامس

منزلة علوّ الْهِمَّة (أ)

الحمد لله الذي خلق فسوَّى، وقَدَّر فهدى، وصلى الله وسلم على نبيِّه محمد وعلى إلٰه وأصحابِه أعلام الهدى.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: إنَّ من أعظم ما يُوفَّقُ له الإنسان، الهِمَّةَ العاليةَ الشريفة، فبِها ينال مطلوبَه، ويُحقّق أُمنيتَه.

والمقصودُ مِنْ علو الهمة: استصغارُ ما يكون عقبةً دون معالي الأمور، وطلبُ المراتب السامية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكمالُ كلِّ إنسانٍ، إنَّما يَتِمُّ بهذين النَّوعين، هِمَّةٌ تُرقِّيهِ، وعلمٌ يُبصِّرهُ ويَهديهِ؛ فإنّ مَراتَب السَّعادَةِ والفَلاحِ، إنَّما تفوتُ العَبدَ من هاتَين الجهتَين، أو مِن إحداهُما[(١)]. اهـ.

إنَّ عاليَ الهمة، يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايتِه النبيلة، وتحقيقِ بغيته الشريفة؛ لأنه يعلم أنَّ المكارم منوطةٌ بالمكاره، وأن المصالحَ والخيرات، واللذاتِ والكمالات كلَّها، لا تُنَالُ إلا بحظٍّ من المشقة، ولا يُعْبَرُ إليها إلا على جسرٍ من التعب.

بَصُرتُ بالراحة الكبرى فلم أرها ... تُنال إلا على جسرٍ من التَّعَب

عالي الهمةِ يُرى منطلقًا بثقةٍ وقوةٍ وإقْدام، نحو غايتِه التي حدَّدَها على بصيرةٍ وعِلْم، فيقتحم الأهوال، ويستهين الصعاب على كلّ الأحوال.

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢١٤ ـ ١/٢١٥.

إذا غـامَـرْتَ فـي شَـرَفٍ مَـرُومِ فَـلا تَـقـنَـعْ بـمـا دونَ الـنّـجـومِ

عالي الهمة له نظامٌ يسير عليه، وهدفٌ يصبو إليه، ومنهجٌ لا يحيد عنه، ووقتٌ يَظِنُّ ويَبْخَلُ به، ونفسٌ لا تَسْعى إلَّا إلى تهذيبِها وكبحِ جماحِها، لا تنعِيْمِها وتلبيةِ رغباتِها.

عالي الهمة تتقطّع نفسُه حسراتٍ على دقائق لم ينتفع بها، يرى أنّ وقتَه أغلى من إهدارِه بملاذّ الدنيا ومُتَعِها، ونفسُه أشرف من قناعتها بما دون الكمال.

نسأل الله تعالى أنْ يُعلي همّاتنا، ويُصحح نياتنا، إنه على كلّ شيءٍ قدير.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ السادس

أسبابُ علوِّ الْهِمَّة (ب)

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: معاشر الصائمين: لِنَيْل الهمةِ العاليةِ أسبابٌ كثيرةٌ من أهمّها:

أولا: توفيقُ الله تعالى وإعانتُه، فاطلب الهِمَّةَ من الْمُعينِ الكريم، فلن تنال التوفيق إلا منه، ولن تبلغ الْمجد إلا بعنايتِه سبحانه.

ثانيًا: مُصاحبةُ أصحاب الهمم العالية، والنظر في سِيَرهم وأخبارِهم، والبعدُ عن أصحاب الهمم الدنيّة أو الْمُثبّطة.

ولذلك قَالَ ﷺ: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ**» متفق عليه[(١)].

ومفهومه: إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضُلَ عَلَيْهِ فِي العلم والدينِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَعلا مِنْهُ.

ثالثًا: وضعُ خطةٍ تَسير عليها، وأهدافٍ واضحةٍ تتطلّع إليها، وتُحاسب نفسك على عدم التقيّد بها.

رابعًا: عدمُ الانصياع وراء النفس الأمَّارة بالسوء، فاحذر أنْ تُجيبها إلى الدّعة والراحة.

---

(١) البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

والنفسُ كالطفلِ إنْ تهملهُ شَبَّ على حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

خامسًا: المجاهدة والصبر: فجاهدْ نفسَك وألْزِمْها بلوغَ الغايات، وأعالي المقامات، وعدمَ الرضا بالدُّوْن، وكُلَّما جاهدتَّ نفسك في بلوغ القِمَمِ بَلَغْتَها بحول الله تعالى، وقد وعد الله تعالى ومن أصدق من الله قِيْلًا، الهدايةَ لِمَنْ جاهد وصابر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فاحرص أيّها المؤمن على علوّ همّتك، فهي السبيل إلى رفعتِك وسعادتك، وفارق الراحة لتنال الراحة، فلا راحة إلا بتعب، ولا عِزّ ولا رفعة إلا بجهدٍ ونَصَب، وحارب الكسل فهو عدوّك.

نسأل الله تعالى أنْ يرزقنا الهمّةَ العالية، وأنْ يجعلها في سبيل مرضاتِه، إنه على كلِّ شيءٍ قدير.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ السابع

الحذر من الإسراف والتباهي به

الحمد لله الذي لا تدركه الأبصار، والصلاةُ والسلامُ على صفيه وخليلِه المختار، وعلى جميع أهلِ بيتِه وأصحابِه الأخيارِ الأبرار.

أما بعد: معاشر الصائمين: ينبغي علينا أنْ نقتصد في طعامنا وجميعِ شؤوننا، فالله تعالى لا يُحب المسرفين والمبذرين.

والأخطر من ذلك أنْ يتباهى الإنسان بالإسراف والتبذير؛ لما فيه من الآفات الكثيرة، منها:

الآفةُ الأولى: كسر قلوب الفقراء والمحتاجين، فإنهم إذا رأوا مثل ذلك حقدوا على الأغنياء، وامْتَلأَتْ قلوبُهم غيظًا وكمدًا.

الآفةُ الثانية: إشاعةُ هذه المعصيةِ بين الناس، وسنُّها وتشجيعُهم على القيام بمثلها وأعظمَ منها، ولم تكن هذه الأفعال الشنيعةُ تُعرف عندنا، إلا حينما ابتدأها أحدُهم، وانْتَشر فعلُه وطار خبرُه، فعمل بعمله الكثير من ضعفاءِ الإيمان والعقول، فعليه إثمُها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة.

قال ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**» رواه مسلم[١].

ثالثًا: أنها مُجاهرةٌ بالمعصية، فيُخشى على صاحبها أنْ يدخل في

(١) (١٠١٧).

قولِ النبيّ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**» رواه البخاري[١].

فلْنحافظ على النِّعَمِ التي مَنّ الله تعالى بها علينا، ولْنحذر من رمي الفضلات في النُّفايات، بل يجب أنْ نُطعمها من يحتاجها، ولو للحيوان أو الطير.

نسأل الله تعالى الذي أرانا نعمه ورحمتَه، ألا يُرينا سخَطَه وعذابَه، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) (٦٠٦٩).



المَجلسُ الثامن

احْتسابُ الأجرِ في جميع حياة الإنسان (أ)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمد، وعلى إلٰه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: إخوة الإيمان: إنَّ هذا الدين دينٌ شاملٌ وكامل، جاء بما يَخْدِمُ العِبَادَ ويَعْمُرُ البِلَادَ، ويهدي إلى الحقِّ وسبيلِ الرشاد.

ومن عظمة هذا الدين، أنه لم يقتصر على تشريع العبادات والتكاليف، وما جاء ليحثَّ عليها ويُزهِّدَ في غيرها، بل جاءَ بما ينفع الإنسان في دينه ودُنياه، ورتَّب له الأجرَ والثَّوابَ في أعماله الدنيويةِ، إنْ نوى بها نيةً صالحة.

ومن أمثلة ذلك ما قاله النبي ﷺ: «**لا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلا دَابَّةٌ وَلا طَيْرٌ، إلا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَومِ القِيَامةِ**» رواه مسلم(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وَمُقْتَضَاهُ: أَنَّ أَجْرَ ذَلِكَ يَسْتَمِرُّ، مَا دَامَ الْغَرْسُ أَوِ الزَّرْعُ مَأْكُولًا مِنْهُ، وَلَوْ مَاتَ زَارِعُهُ أَوْ غَارِسُهُ، وَلَوِ انْتَقَلَ مِلْكُهُ إِلَى غَيْرِهِ(٢). اهـ.

فاحْتسبوا طلب الأجر حين تزرعون، واسْتحضروا النية الصالحة حين تبذُرون.

---

(١) (١٥٥٢).

(٢) فتح الباري ٥/٦.

ومن ذلك: أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْهِجْرَةِ؛ أي: عن وجوب تركِ الوطن، وهل يَتْرُكُ أهلَه وإبلَه ويُهاجرُ إلى المدينة، تأييدًا وتقويةً للنبي ﷺ والمسلمين، وإعانةً لهم على قتال الكفار، فَقَالَ له: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَهَلْ تُؤْتِي صَدَقَتَهَا؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا**» متفق عليه[1].

أي: فأنت على خيرٍ، وإن كنت من وراء البحار، ولا يَضُرُّكَ بُعْدُكَ عن المسلمين، فلَنْ يُنْقِصَكَ الله مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكَ شَيْئًا.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: فِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ، إِلَى أَنَّ اِسْتِقْرَارَهُ بِوَطَنِهِ إِذَا أَدَّى زَكَاةَ إِبِلِهِ، يَقُومُ لَهُ مَقَام ثَوَاب هِجْرَته وَإِقَامَته بِالْمَدِينَةِ[2]. اهـ.

فاحمدوا الله على هذا الأجرِ العظيم لكم، حين ترعون وتُنفقون على مواشيكم، بشرط أنْ تؤدُّوا زكاتها، وتُنفقوا وتتصدَّقوا على الْمُحتاجين منها.

نسأل الله تعالى أنْ يتقبل منا، ويُبارك في أرزاقنا وأهلنا، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (١٤٥٢)، ومسلم (١٨٦٥).
(٢) فتح الباري ٣/ ٣٩٨.



المَجلسُ التاسع

احْتسابُ الأجرِ في جميع حياة الإنسان (ب)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمد، وعلى إلٰه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: معاشر الصائمين: إنّ من أعظم نعم الله على عبده، أنْ يأجره على أمورٍ يقوم بها لحاجته إذا نوى نيَّةً صالحة، فمن ذلك: انفاقُه على أهله وأولادِه، قال النبي ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**» رواه مسلم(١).

فهلَّا احْتسبتمُ الأجر حين تشترون الْمَؤُونةَ لأهلكم، واسْتحضرتم عظيمَ الثوابِ حين تُدخلون الفرحة عليهم، فإنكم تُؤجرون على كلِّ لُقمةٍ يأكلونها ويتنعَّمون بها، قَالَ ﷺ: «**وإنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إلا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ في فيِّ امرأتِك**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

وقال أيضًا: «**إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ**» متفق عليه(٣).

فهذه الأحاديث دليلٌ على ثبوت الأجر على نفقة الأب على أولاده، والزوج على زوجتِه، ولو كان ذلك واجبًا في حقِّهم.

---

(١) (٩٩٥).
(٢) البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).
(٣) البخاري (٥٣٥١)، ومسلم (١٠٠٢).

لكن تأملوا قوله ﷺ: «**وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا**»، وفي الحديث الذي قبله: «**تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ**». حيث أكَّد على أهميَّةِ النية، وأنه لا يُؤْجر إلا إذا نوى بها وجه الله تعالى.

بل إنّ الإنسان يأتي شهوته ولذّته ويُؤجر عليها، قال ﷺ: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَام، أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

فدينُ الإسلام جعل حياتنا كلَّها عبادةً بمُجرَّد النية الصالحة، والمقصدِ الحسن.

نسأل الله تعالى أنْ يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



---

(١) (١٠٠٦).



المَجلسُ العاشر

الصدقة على ذي الرحم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى إلٰه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: معاشر الصائمين: لقد اعتنى الإسلام بصلة ذوي الأرحام والاهتمام بهم، بل جعل الصدقة عليهم أفضل من الصدقة على غيرهم، قال ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**» رواه الإمام أحمد(١) وصححه الألباني(٢).

بل إنّ الصدقةَ على الأقارب أفضلُ من عتق الرقاب، فعَنْ أُمِّ المؤمنين مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ﵂، أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً ـ يعني: أمَةً ـ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ**، وفي رواية: **وَلَوْ وَصَلْتِ بَعْضَ أَخْوَالِكِ: كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ**» متفق عليه(٣).

قال القرطبيُّ ﵀: هذا يدل على أن الصدقةَ على الأقارب: أفضل من عتق الرقاب. وهو قول الإمام مالك(٤). اهـ.

فتأملوا كيف أن الصدقة على الأقاربِ إذا كانوا محتاجين، وصلتَهم

(١) (١٦٢٣٣).
(٢) في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٣٨٥٨).
(٣) البخاري (٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩).
(٤) المفهم ٤/ ٦٨.

بالهدية وغيرِها: أفضلُ وأعظمُ من عتق الرقبة، مع ما جاء في عتق الرقبة من الأجر العظيم، ويكفي في فضلها قوله ﷺ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**» متفق عليه(١).

فمن كانت عنده رقبةٌ مُسلمة، وأحب أن ينال هذا الأجر العظيم، وهذا الجزاء الفضيل، وهو عتقه من نار الجحيم، فهناك أجرٌ أفضل وأعظم من ذلك: وهو بأن تتصدق بها على رحمك، مع أنَّ ذلك يُفوِّتُ على العبد حريته، لكنْ لعظيم شأن الرحم والأقاربِ ترجّحَ تقديمُ نفعهِم على عتقِ الرقبةِ، والله حكيمٌ عليم.

فينبغي العناية بذوي أرحامنا، وتلمس حاجاتهم، وسدّ فاقاتهم.

نسأل الله تعالى أنْ يرزُقنا الإخلاصَ في القول والعمل، وأنْ يُوسِّعْ في أرزاقنا، ويُبارك في أعمارنا، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).



المَجلسُ الحادي عشر

ذمُّ الجدال العقيم

الحمد لله الذي عَلّمَ الْقُرْآنَ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، حذَّر من الْمِراء والْخِصام والعدْوان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله هادي الإنس والجان، صلى الله وسلم عليه وعلى إلٰه وصحبِه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: معاشر الصائمين: إنَّ دين الإسلام حثَّ على كُلِّ ما فيه أُلْفةٌ ومودَّة، واجْتماعٌ وترابط، ونهى عن كلِّ ما يُسبِّب العداوةَ والبغضاءَ، والتنافرَ والْفُرقة، ومِمَّا جاء الإسلام بالتحذير منه: المراءُ والجدال، ولو كان مع أحدِ الْمُتجادلَينِ الحقُّ، فإنَّ الخصام يُضيِّعه ويُبطله في الغالب.

وتأملوا ما جاء في «الصحيحين»[(١)]، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اِقْرَؤُوا الْقُرْآن مَا اِئْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبكُمْ، فَإِذَا اِخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ**».

والمعنى: (اِقْرَؤُوا الْقُرْآن وتدارسوه مَا اِجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ قُلُوبكُمْ، فَإِذَا اِخْتَلَفْتُمْ فِي فَهْمِ مَعَانِيه فتَفَرَّقُوا؛ لِئَلَّا يَتَمَادَى بِكَمْ الِاخْتِلَاف إِلَى الشَّرّ)[(٢)].

فهذا الحديث من أوضح الأدلة والبراهين: في النهي عمَّا يُنفر ويُحدث الخلاف بين المسلمين، فإذا نتج اختلافٌ وجدالٌ من قراءةِ القرآن والجلوسِ لسماعه، ومعرفةِ تفسيره ومعناه ـ وهي من أعظم

(١) البخاري (٥٠٦١)، ومسلم (٢٦٦٧).
(٢) يُنظر: فتح الباري ٩/ ١٢٩.

العبادات ـ: فإننا نقوم عن هذه العبادة، ولا نستمر في هذه الجلسة التي فيها القراءة والعلم، فكيف بمجالسَ عامةٍ لا يُوجد فيها ذكرٌ ولا قراءةُ قرآن، ويُطرح فيها ما يُسبب الخلاف والتفرقة، من التعرُّض للجماعات أو الأشخاص أو الحكومات، فهذه المجالس أولى أنْ يُقام عنها، وتُترك وتُهجر.

فلْنُبْعِدْ الْمُجادلاتِ العقيمةَ عن مجالسنا، فإنَّها هي التي أفسدتها، وأوحشت قلوبَنا ولوَّثتها.

وإذا كان لا بُدَّ من النقاش والجدال، فلْيكن عن علمٍ ومعرفة، ورفقٍ وتُؤَدة، ولِطَلبِ الحقِّ وبيانِه بهدوءٍ واحترام.

واعلموا ـ معاشر الْصائمين ـ أنَّ مَنْ كان شديدًا في جِداله وخِصامه: فهو من أبغض الناس عند الله تعالى، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ**» متفق عليه[1].

قال العلماء: الأَلَدّ: هو الشَّدِيد في جِدَالِه، وهو الذي كلَّما فُتح بابٌ للجدال كان أسرَعَهم إليه، وأقواهم مُجادلةً فيه، بلا بحثٍ وعلمٍ ومعرفة.

نسأل الله تعالى، أنْ يُعيذنا من الجدال الذي لا نفع فيه، وأنْ يرزقنا الرفق في القول والعمل، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وعلى إلٰه وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).



المَجلسُ الثاني عشر

فضيلة التواضع وهضم النفس

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وعلى إلٰه وأصحابِه أجمعين.

أما بعد: معاشر الصائمين: إنَّ من أعظم ما يتصف به المسلم: التواضعَ وهضمَ النفس، وهذا خلقٌ نبيل وشريف، يدل على عقل وحكمة من اتصف به.

وقد جاءت الشريعة بالأمر به، فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ ﵁ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**» رواه مسلم(١).

والتواضع رفعة لصاحبه ولو كان في الظاهر ضعف، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**» رواه مسلم(٢).

واعلموا أنّ أصل التواضع ما كان في القلب لا ما كان في الظاهر، فليس التواضع بنزولك إلى من هو أقلّ وأدنى منك، ولكن بألا ترى في نفسك ما يُميّزها عن غيرها لتنزل إليهم، فتتعاملُ مع الصغير والفقير مُعاملةَ الأخ مع أخيه والصديق مع صديقِه.

فشعورُك بأنّك متواضعٌ عند تعاملك مع من هو أقل منك ـ في

(١) (٢٨٦٥).
(٢) (٢٥٨٨).

الظاهر ـ دليلٌ على أنّك ترى نفسك أرفع منه، ومن أخبرك بذلك؟ فهذا نوعٌ من الترفع الخفيّ.

وهذا الخُلُقُ مِن أبرز صفات عبادِ الله الصالحين: حيث قال تعالى في صفاتهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ أي: بسكينةٍ ووقار، من غير علوٍّ ولا استكبار.

ومَن أراد أنْ يعرف أنه مُتَّصِفٌ بهذه الصفةِ العظيمةِ، وهي صفةُ التواضع وهضمِ النفس؟ فلْينظُرْ إلى حاله عند سماعه لنقد الناس له، وعدمِ حفاوتهم وإكرامهم له، فإنْ كان يَتقبَّلُ النَّقدَ ويفرحُ به، ولا يتضجَّر من عدمِ حفاوةِ الناس به، ولا يُبالي بسفاهةِ السُّفهاء، ولا بتقصيرِ الأصحابِ والأقرباء: فقد بلغ الغايةَ في هذا الخلُق الشريف، وبلغ المنزلة القصوى في هذا الفضلِ الْمُنيف.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا التواضع وهضم النفس، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ الثالث عشر

عبادةُ السكوت عمّا لا ينفع

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وعلى إلٰه وأصحابِه أجمعين.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: إنَّ الكثير من الناس يحرص على تعلّم فنون الخطابة وآداب الكلام، ولكن قلّ من يعتني بآداب السكوت.

وقد قال بعض السلف: أجمع الحكماء: على أن رأس الحكمة الصمت[(١)].

وكلّ مَن كفَّ أذاه وشرَّه عن الناس، فله الأجرُ والثوابُ العظيم.

فقد شكى رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ، أنه لا يستطيعُ القيام بكثيرٍ من أعمال الخير، لضعفِه وقلَّةِ ماله، فهل تُغلق أبواب الصداقات والخير في وجهه؟ فأخبره النَّبِيُّ ﷺ، ببابٍ من أبواب الصدقة لم يخطر على قلب أحدٍ فقال: «**تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ**» متفق عليه[(٢)]

الله أكبر! ما أعظمَ هذا الدينَ الذي مَنَّ الله به علينا، فالجار حينما يكفُّ شرَّه عن جاره له صدقة، والذي يُمْسك لسانه عن غيبة الناس له صدقة، والمرأةُ في بيتها تكفُّ لسانها صدقة، لكن قال العلماء: هذا

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٦.
(٢) البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤).

الثَّوَابُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مَعَ النِّيَّةِ وَالْقَصْدِ، لَا مَعَ الْغَفْلَةِ وَالذُّهُولِ.

فالصمت عن الشرّ خصلةٌ من خصال الإيمان، وسببٌ موجبٌ لصاحبه إن كان مؤمنًا لدخول الجنان، قال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه أضمن له الجنة**» رواه البخاري[(١)].

وما بين اللحيين: اللسان، وما بين الرجلين: الفرْج.

ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما شيء أحوج إلى طول حبس من لسان».

ومن المواطن التي يحسن فيها السكوت:

أولًا: السكوت عن جواب السفيه والجاهل.

ثانيًا: السكوت عن الجدال العقيم، الذي يخرج صاحبه منه بفائدة ومصلحة.

ثالثًا: السكوت عن المزاح مع من لا يتقبله، أو مع من لا تعرفه.

رابعًا: السكوت عما لا يعني الإنسان ولا يَخُصُّه.

خامسًا: السكوت عند تداولِ بعض الأخبار التي فيها إرجافٌ وفزع، ونتركُ الحديث عنها للعلماء وأهل الاختصاص.

نسأل الله تعالى أنْ يعيننا على حفظ ألسنتنا، إنه جوادٌ كريم.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



---

(١) (٦٤٧٤).



المَجلسُ الرابع عشر

الوَصَاةُ والعنايةُ بِالْجَارِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وعلى إلٰه وأصحابِه أجمعين.

أما بعد: معاشر الصائمين: للجار مكانةٌ عظيمةٌ في الإسلام، ويكفي في إثبات ذلك قول النَّبيِّ ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**» متفق عليه(١).

أَيْ: يَأْمُرُ عَنِ اللهِ بِتَوْرِيثِ الْجَارِ مِنْ جَارِهِ.

وكَانَ مِنْ أَخْلَاقِ الْعَرَبِ حِمَايَةُ الْجَارِ وَالدِّفَاعُ عَنْهُ، حَتَّى صَارُوا يُسَمَّوْنَ النَّصِيرَ جَارًا، وَمِنْهُ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨](٢).

«وحِفْظُ الْجَارِ مِنْ كَمَالِ الإيمَانِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَافِظُونَ عَلَيْهِ، وَيَحْصُلُ امْتِثَالُ الْوَصِيَّةِ بِهِ بِإِيصَالِ ضُرُوبِ الإِحْسَانِ إِلَيْهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ؛ كَالْهَدِيَّةِ، وَالسَّلَامِ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَتَفَقُّدِ حَالِهِ، وَمُعَاوَنَتِهِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَكَفِّ أَسْبَابِ الأَذَى عَنْهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ حِسِّيَّةً كَانَتْ أَوْ مَعْنَوِيَّةً»(٣).

وَقَدْ نَفَى ﷺ الإِيمَانَ عَمَّنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، فَقَالَ: «**وَاللهِ لَا**

(١) البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥).
(٢) المنار ١٠/١٦٨.
(٣) فتح الباري: ١٠/٥٤٢ ـ ٥٤٤.

يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**» متفق عليه[(١)].

وَهِيَ مُبَالَغَةٌ تُنْبِئُ عَنْ تَعْظِيمِ حَقِّ الْجَارِ، وَأَنَّ إِضْرَارَهُ مِنَ الْكَبَائِرِ.

ومعنى بوائقه؛ أي: ظلمه وشرّه.

وَاسْمُ الْجَارِ يَشْمَلُ الْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ، وَالْعَابِدَ وَالْفَاسِقَ، وَالصَّدِيقَ وَالْعَدُوَّ، وَالْغَرِيبَ وَالْبَلَدِيَّ، وَالنَّافِعَ وَالضَّارَّ، وَالْقَرِيبَ وَالأَجْنَبِيَّ، وَالأَقْرَبَ دَارًا وَالأَبْعَدَ.

وَقَدْ حَمَلَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو عَلَى الْعُمُومِ، فَأَمَرَ لَمَّا ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ أَنْ يُهْدَى مِنْهَا لِجَارِهِ الْيَهُودِيِّ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ الْمُفْرَدِ» وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

فلْنعرفْ للجار حقّه، ولْنقم بواجبِه، ولْنصبرْ على أذاه، نسأل الله تعالى أنْ يُعيننا على أداء حق الجار، إنه سميعٌ قريب مُجيب.

وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦).



المَجلسُ الخامس عشر

الحذر من الغيبة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابِه أجمعين.

أما بعد: معاشر الصائمين: إنّ من أعظم آفات اللسان وأخطرها: الغيبة، وهي أن يذكر الإنسان أخاه المسلم في غيبته بما يكرهه لو بلغه، من غير حاجة لذلك.

أما من رضي بذلك ولا يكره ما قيل عنه، أو كان هناك حاجة لذلك فلا بأس بها.

والغيبة خلقٌ ذميمٌ نهانا الله ورسوله عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «**لمّا عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»(١).

واحذر أن تُجلس في مجلس يُغتاب فيه أحدٌ من المسلمين، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنْ النَّاسِ مَنْ يَغْتَابُ مُوَافَقَةً لِجُلَسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ الْمُغْتَابَ بَرِيءٌ مِمَّا يَقُولُونَ، أَوْ فِيهِ بَعْضُ مَا يَقُولُونَ، لَكِنْ يَرَى أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ قَطَعَ الْمَجْلِسَ، وَاسْتَثْقَلَهُ أَهْلُ الْمَجْلِسِ وَنَفَرُوا عَنْهُ،

(١) رواه أبو داود برقم ٤٢٥٣.

فَيَرَى مُوَافَقَتَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ وَطِيبِ الْمُصَاحَبَةِ، وَقَدْ يَغْضَبُونَ فَيَغْضَبُ لِغَضَبِهِمْ فَيَخُوضُ مَعَهُمْ[(١)]. اهـ.

وأخبث أنواع الغيبة، غيبة المرائين، فإنهم يتكلمون بكلامٍ ظاهرُه الدعاء، وباطنُه التنقص والذمُّ للمذكور؛ ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة.

ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين: الغيبة والرياء.

وذلك مثل أن يُذكر عنده أحدٌ فيقول: الحمد لله الذي عافانا من الجهل، أو يقول: نعوذ بالله من قلة الحياء، نسأل الله أن يعصمنا منها، وإنما قصده أن يُفْهم عيبَ الغير، فيذكره بصيغة الدعاء.

والله مُطَّلِعٌ على خبثِ ضميره وخفيِّ قصدِه.

ومن ذلك: الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب، فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاطَ المغتاب في الغيبة، فيندفع فيها، وكأنه يستخرج الغيبة بهذا الطريق، فيقول: عجب!! ما علمت أنه كذلك، ما عرفته إلى الآن إلّا بالخير، وكنتُ أحسب فيه غير هذا، عافانا الله من بلائه، فإنَّ كل ذلك تصديق للمغتاب، والتصديق بالغيبة غيبة، بل الساكت شريك المغتاب.

نسأل الله تعالى أنْ يحفظ ألسنتنا عن الغيبة والنميمة، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٢٣٦.



المَجلسُ السادس عشر

الذلة والاستكانة لله تعالى

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وعلى إلٰه وأصحابِه أجمعين.

أما بعد: **معاشر الصائمين:** إنّ من صفات عباد الرحمٰن أنهم يمشون على الأرض هونًا، ذليلين خاشعين لله تعالى.

وقد كان التذلل والاستكانة لله تعالى، سمةَ أهل العلم والصلاح والتقى، وهذا شيخ الإسلام رحمه الله تعالى يقول: رُبمَا طالعت على الْآيَة الْوَاحِدَة نَحْو مائَة تَفْسِير، ثمَّ أسأَل الله الْفَهم وَأَقُول: يَا معلم آدم وَإِبْرَاهِيم عَلمنِي، وَكنت أذهب إِلَى الْمَسَاجِد المهجورة وَنَحْوهَا، وأمرغ وَجْهي فِي التُّرَاب، وأسأل الله تَعَالَى وَأَقُول: يَا معلم إِبْرَاهِيم فهمني[1]. اهـ.

إن التذلل لله عزٌّ ورفعة، ولغيرِه ذلَّةٌ ووضيعة، وبقدر تذللك لله تعالى يُكسبك من نور جلاله، ولطيفِ فَضالِه، وكريم عطائه، وكنوزِ علمِه.

وتأملوا كيف نجَّى الله تعالى قومًا مشركين، حينما استكانوا وتذللوا لله وحده، قال تعالى عنهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

(١) العقود الدرية: ٤٣.

وقال تعالى عنهم أيضًا: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٧].

فقد نجَّاهم من الموت والغرق، لمّا تضرعوا وتذللوا له وحده، مع أنهم مشركون، ولم يعزموا على ترك آلهتهم، بل أخلصوا لله في الضراء فقط، ومع ذلك نجَّاهم وأنقذهم، فكيف بالموحد المؤمن.

فينبغي أنْ تسشعر أيها الصائم أنك عبدٌ لله تعالى، والعبد خاضع لسيّده مُنقاد له.

وكلّما ازداد العبدُ ذلةً وعُبوديّة، كلما شعر بالاستغناء بالله، واللذة والأنس والعزة، وأما الذلة للمخلوق فهي تُكسب الدناءة والخوف.

نسأل الله تعالى أنْ يرزقنا الذلة له، والخشوع بين يديه، إنه سميعٌ قريب.

وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ السابع عشر

لذة العبادة والقرب من الله تعالى

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: إنّ للعبادة أنسًا ولذةً لا يعلمها إلا الله وحده، فلا أطيب ولا أسرّ ولا أنعم من محبته سبحانه والأنس به، والشوق إلى لقائه، والحلاوةُ التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كلِّ حلاوة، والنعيمُ الذي يحصل له بذلك أتمُّ من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة، كما أخبر بعض السلف: إنه ليمر بالقلب أوقاتٌ أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه، لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ: خَرج أهلُ الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيبَ شيءٍ فيها. قالوا: وما هو؟ قال: معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: تفقدوا الحلاوة في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق(١).

(١) حياة السلف بين القول والعمل للمؤلف: ٧٦٥.

أي: أنّ اللذة والسعادة في هذه العبادات ونحوها، فمن لم يجدها فيها، فهذا يعني بأنه قد أخلّ بها وقصّر فيها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا: فاتهمه، فإن الرب شكور.

يعني: «أنه لا بد أن يُثيب العامل على عمله في الدنيا، من حلاوة يجدها في قلبه، وقوةِ انشراحٍ وقرةِ عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول»(١).

وهذا جزاءٌ مُعجَّلٌ من الكريم الوهاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والذي أعدّه له في الآخرة أعظم وأكمل..

ونقل ابن القيم عن أحدِ تلاميذِ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: خرج يومًا فخرجتُ خلفه، فلما انتهى إلى الصحراء وانفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد، تنفس الصعداء ثم تمثل بقول الشاعر:

وأخرجُ مِن بين البيوتِ لعلَّني أُحَدِّثُ عنكَ القلبَ بالسِرِّ خاليًا

سبحان الله! يخرج وحيدًا إلى الصحراء؛ ليأنس بالله الواحد الأحد، وما ذاك إلا لأُنسه بربه، وشعورُه بحاجته إليه، واسْتغنائه به عن الخلق كلهم.

وكثيرٌ من الناس لا يُطيق الانفراد، دون أي شيء من الملهيات.

نسأل الله تعالى أنْ يرزقنا الأنس به، وأن يجعلنا ممن ذاق طعم الإيمان، وحلاوة العبادة، إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٧٣.



المَجلسُ الثامن عشر

العناية بالطعام، وحفظُ النعمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وعلى إلٰه وأصحابِه أجمعين.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: لقد منّ الله تعالى علينا بالأمن والرخاء ورغدِ العيش، بل إنَّ صنوف الطعام بين أيدينا، جُلِبَتْ مِنْ شتَّى أصقاع الأرض.

وقد حثَّ الإسلام على احترام النعم، وتقديرِ الخيرِ الذي سَخَّرَه ﷻ للناس، وعدم رمي النعم في القمامة، وإطعامها لمن هو مُحتاج لها، ولو للبهائم.

والطعام من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، جعل فيه حياته وقوته، كما جعل فيه لذته، ولذلك أمر بالحمد بعد تناوله، والشكر على إحسانه به.

قال الله ﷻ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

ومِن شكر نعمة الطعام احترامها وعدمُ رميها، ورفعُ الطعام الساقط على الأرض.

وقد ذكر أهل العلم لهذا الأدب حكمًا عديدة، وفوائد كثيرة، منها:

أولًا: امتثال أمر النبي ﷺ وسنته.

ثانيًا: التواضع وعدم التكبر.

ثالثًا: احترام نعم الله تعالى وتعظيمها وشكرها وعدم الاستخفاف بها.

رابعًا: تحصيل البركة التي قد تكون في اللقمة الساقطة.

خامسًا: الاقتصاد وعدم الإسراف.

سادسًا: حرمان الشيطان من ذلك الطعام.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**» رواه مسلم[(١)].

فالواجب علينا ـ أيها الصائمون ـ لا سيما في هذا الشهرِ الكريم الذي تزدحمُ فيه أصنافُ الطعام والشراب على الموائد عند الإفطار والعشاء والسَّحُور، أنْ نُوجِّه أهلَنا ومَن تحت أيدينا من الخدم ونحوِهم إلى احترامِ النعمة، والاقتصادِ فيما يُقدَّم، وتصريفِ ما يزيدُ على الحاجةِ تصريفًا شديدًا.

ولْنحذرْ من إهانتِه بوضعِه في صناديقِ القُمامةِ، أو إتلافِه وحرمانِ البهائمِ ونحوِها منه.

نسأل الله تعالى أنْ يرزقنا شكر نعمه، والقيام بحقّه، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



---

(١) (٢٠٣٣).



المَجلسُ التاسع عشر

لا تغضب

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وعلى إلٰه وأصحابِه أجمعين.

أما بعد: **معاشر الصائمين:** إنّ الغضب جمرةٌ لا تُحرق صاحبها فحسب، بل تُحرق غيره من الأقارب والأصدقاء، بل إنه يُسبِّب أمراضًا في الأبدان، وفسادًا في القلوب والأديان.

والغضب من أكبر أسباب الطلاق والقتلِ، والمشاكل الأسرية والاجتماعية.

ولما كان هذا هو شأن وضرر الغضب، فلا عجب أنْ يُوصي نبيِّنا ﷺ مَن سأله الوصية، بعدم الغضب، فيسأله المزيد فلا يزيد على التوصية بعدم الغضب.

فقد ثبت في «صحيح البخاريِّ» وغيرِه، أن رجلًا أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي وَأَقْلِلْ لَعَلِّي أَعِيهِ، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»، قال: زدني، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»، كُلُّ ذَلِكَ يُرْجِعُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْ لَا تَغْضَبْ**»[(١)].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْغَضَبَ جِمَاعُ الشَّرِّ، وَأَنَّ التَّحَرُّزَ مِنْهُ جِمَاعُ الْخَيْرِ[(٢)]. اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١١٦)، مسند الإمام أحمد (٢٣١٦٣).

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٣٦٢.

وقَوْلُهُ ﷺ: «**لَا تَغْضَبْ**»، يعني به أَمْرَيْنِ:

أَحَدَهُمَا: أَنْ يفعل الأَسْبَابَ الَّتِي تُوجِبُ حُسْنَ الْخُلُقِ، مِنَ الْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ، وَالْحِلْمِ وَالْحَيَاءِ، وَكَفِّ الأَذَى وَالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَالطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا تَخَلَّقَتْ بِهَذِهِ الأَخْلَاقِ وَصَارَتْ لَهَا عَادَةً: أَوْجَبَ لَهَا ذَلِكَ دَفْعَ الْغَضَبِ عِنْدَ حُصُولِ أَسْبَابِهِ.

وَالثَّانِي: أَنْ لَا يعْمَلْ بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ إِذَا حَصَلَ لَه، بَلْ يُجَاهِدُ نَفْسَه عَلَى تَرْكِ تَنْفِيذِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ[١].

وليس معنى كظمِ الغيظ أنْ يسكت الإنسان عن أخطاء الناس وتطاولِهم وقلَّة أدبهم، والسكوتُ عن التشفي في الحال قد يُصيبُ الإنسان بالضرر الخطير، حيث يحتقن الغضب في باطنه فيصير حقدًا.

ولكن معنى كظمِ الغيظ: أنْ يتحكم في نفسه، ولا يصدرَ منه ما لا ينبغي، فلا يردّ بكلامٍ فظٍّ غليظ، بل يُجيب خصمه ويردُّ عليه بحكمةٍ ورويَّةٍ، دون عجلةٍ وكلامٍ بذيءٍ.

ولا بد لكل داءٍ من دواء، **ودواء الغضب عند هيجانه في أمور منها**:

أولًا: أن تُبادر بالاستعاذة من الشيطان وتقول بلسانك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن لم يزل بذلك، فاجلس إن كنت قائمًا، واضطجع إن كنت جالسًا.

ثانيًا: أنْ تصرف ذهنك عن الأمر الذي دعاك للغضب، فإنك إذا جعلت تُفكر فيه سيزداد غضبُك، وربما كانت ردة فعلك فوق الخطأ الذي غضبت لأجله.

---

(١) يُنظر: جامع العلوم والحكم ١/ ٣٦٤.

نسأل الله تعالى أنْ يُقينا شرّ الغضب، وأنْ يُجملنا بالحلم والأدب، إنه جوادٌ كريم.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ العشرون

منزلةُ العاصين عند الله تعالى إذا تابوا! (أ)

الحمد لله الذي يقبل التوبةَ عن عبادِه ويعفو عن السيئات، والصلاة والسلام على خير البريات، وعلى أهلِ بَيْتِه وأصحابِه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: إنّ ذنوبنا كثيرة، وزلاتَنا لا يُحصيها إلا الله الرقيبُ عليها، ولا سبيل إلى الخلاص منها إلا بالتوبة الصادقة.

والتَّوْبَةُ النَّصُوحُ الَّتِي يَقْبَلُهَا اللَّهُ تعالى، يَرْفَعُ بِهَا صَاحِبَهَا إِلَى أَعْظَمَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كَانَ دَاوُد عليه السلام بَعْدَ التَّوْبَةِ، خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ، وَقَالَ آخَرُ: لَوْ لَمْ تَكُنِ التَّوْبَةُ أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إِلَيْهِ، لَمَا ابْتَلَى بِالذَّنْبِ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ.

والله تعالى يُحب التوابين، ويفرح بمن تاب من عباده، بل قال ﷺ: **«للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»** متفق عليه(١).

(١) البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

فيا سبحان الله! الله الغني العليّ، يفرح إذا تُبْتَ إليه أيُّها العبدُ الفقيرُ الضعيف!

وهذه فرحةُ إحسانٍ وبِرٍّ ولطف، لا فرحةَ محتاجٍ إلى توبة عبده، مُنْتَفِعٍ بها.

ولو علمتَ بأنَّ بعضَ من تُحبّه يُحبّ شيئًا ويفرح به، لأعطيتَه هذا الشيء وأضعافَه، والله تعالى تريد أنْ يتوب عليك وتأبى، يفرح بتوبتك وتصدّ وتُكابر وتُسوّف!

وهو تعالى غنيٌّ عنك وعن طاعتك، وأنت المحتاج إليه وإلى عفوه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

فاعقدِ العزم من الآن على التوبة النصوح، وأفرح الربَّ العظيمَ الغنيّ بتوبتك، وأنت في شهرٍ عظيمٍ تُفتَّح فيه أبوابُ الجِنان، وتُغلّق فيه أبوابُ النيران، فبادرْ ولا تُسَوِّف، فإنك لا تدري كم بقي من عمرك.

نسأل الله تعالى أنْ يغفر ذنوبنا، ويتجاوز عن تقصيرنا، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



المَجلسُ الحادي والعشرون

منزلةُ العاصين عند الله تعالى إذا تابوا (ب)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: معاشر الصائمين: يكفي التوبةَ النصوحَ شرفًا وفضلًا، أنَّ الله تعالى يُبدل بها جميع سيئات المذنبين حسنات، قال تعالى ـ بعد أنْ توعّد المشركين والزناةَ والقتلة بالعذاب الأليم ـ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

ما أعظم ربًّا لا يمحو ذنوب من بارزه بالإساءةِ والعصيان فحسب، بل يُبدّلها كلَّها حسناتٍ، ولو كانت كالجبال الراسيات.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيح»[1] عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا** ـ أي: اعرضوا عليه الصغائر دون الكبائر ـ **فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً.**

(١) رواه مسلم (١٩٠).

ـ فإذا رأى كرم الله وحلمه وجوده، وأنه تَجَاوز عنه وأبْدَلَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، طمع أنْ يَفْعَلَ بذنوبِه الكبارِ مثل ذلك ـ، **فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا**».

قال الراوي: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إذَا رَأَى تَبْدِيلَ السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ، طَلَبَ رُؤْيَةَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ، الَّتِي كَانَ مُشْفِقًا مِنْهَا أَنْ تَظْهَرَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ حَالَهُ هَذِهِ مَعَ هَذَا التَّبْدِيلِ، أَعْظَمُ مِنْ حَالِهِ لَوْ لَمْ تَقَعِ السَّيِّئَاتُ وَلَا التَّبْدِيلُ[(١)]. اهـ.

فبادر بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، فلا غنى لك عنه طرفة عين، واحمد الله تعالى أنْ أمهلك ولم يُعاجلك بالعقوبة.

اللَّهُمَّ تب علينا توبةً تمحو بها جميع ذنوبنا، وتُبلغنا بها رضاك ورحمتك، إنك جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٩٤.



المَجلسُ الثاني والعشرون

ما أكرم الله وأرحمه

الحمد لله الذي خلق فسوَّى، وقَدَّر فهدى، وصلى الله وسلم على رسوله المجتبى، وعلى آله وأصحابِه أعلام الهدى.

أما بعد: معاشر الصائمين: إنّ رحمةَ الله تعالى وسعت كلّ شيء، ومن رحمتِه بنا أنْ فتح لنا أبواب رحمته مُشرعةً، وحثّنا على القرب منه ﷻ، واسْمعوا إلى هذا الحديث العظيم، الذي لا يستشعره مؤمنٌ إلا اقشعر جلدُه، ورقّ قلبُه، وخشعت جوارحُه:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا.**

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» رواه مسلم في «صحيحه».

وكَانَ أَبو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ يجثو عَلَى رُكْبَتَيْهِ تعظيمًا له.

فكم يقرعُ هذا الخطاب الربّانيُّ قلوبَ المؤمنين، ويُدرُّ دموعَ الصادقين، ويُليّنُ القلوب القاسية، ويُرْجِعُ القلوبَ النافرة.

فما أكرم ربَّنا وأرحمه، وأعدلَه وألْطفَه.

نسأل الله تعالى أنْ يغفر ذنوبنا، ويستر عيوبنا، إنه سميعٌ قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ الثالث والعشرون

ذمُّ البخل

الحمد لله عظيمِ الفضل والكرم، مُدرِّ الخير والنِّعَم، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: معاشر الصائمين: إنّ داء البخل داءٌ شنيعٌ بغيض، لا يتصف به إلا أراذل الناس، وتعظم شناعته إذا كان على الأهل والأقارب.

قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ عن البخيل: مصيبتان لم يَسمع الأوّلون والآخرون بمثلهما في ماله عند موته، قيل: ما هما؟ قال: يُؤْخَذُ منه كلُّه، ويُسْأَل عنه كله[١].

هكذا حال البخيل، سيأخذ ورثتُه كلَّ أمواله، ويُسأل عنه في مآله، وبين يدَيْ ربه وخالقه.

وقد عدّ العلماء البخل من الكبائر، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال لبني سلمة: «**من سيدكم؟**» ـ قالوا: الجدُّ بن قيسٍ على أنا نُبَخِّلُهُ، فقال: «**وأي داء أدوأ من البخل، بل سيدكم عمرو بن الجموح**»[٢].

وقد كان رَسُول اللهِ ﷺ يَدْعُو في كل صلاةٍ ويقول: «**أَعُوذُ بِكَ مِنَ**

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد».

الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ» متفق عليه[(١)].

والكريمُ يجد عند إنفاقه وبذله، وإعطائه وكرمه، سعادةً لا توازيها سعادة، ولذةً لا تساويها لذة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصّدْرِ: الإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ، فَإِنّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ، أَضْيَقُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ همًّا وَغَمًّا.

وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي «الصّحِيحِ»، مَثَلًا لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ؛ أي: دِرعان، كُلّمَا هَمّ الْمُتَصَدّقُ بِصَدَقَةٍ، اتّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ، وَكُلّمَا هَمّ الْبَخِيلُ بِالصّدَقَةِ، لَزِمَتْ كُلّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، وَلَمْ تَتّسِعْ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَثَلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ[(٢)]. اهـ.

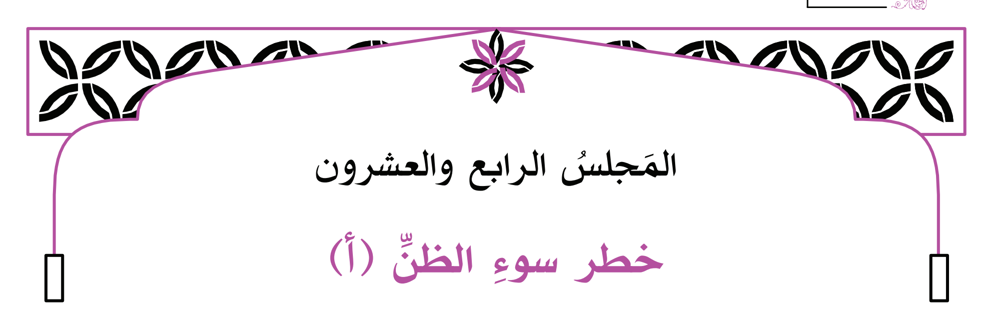
فلْنكن كريمين باذلين، مُنفقين على المحتاجين، ولْنتجنَّب البخلَ فإنه داءٌ عُضال، من أُصيب به مرض، وأصبح مكروهًا حتى من أقرب الناس إليه.

نسأل الله تعالى أن يُعيذنا من البخل والطمع، والهلع والجشع، وأن يجعلنا من عباده المنفقين، الكريمين الباذلين، إنه سميع قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) البخاري (٤٧٠٧)، ومسلم (٢٧٠٦).
(٢) زاد المعاد ٢/ ٢٤.



المَجلسُ الرابع والعشرون

خطر سوءِ الظنِّ (أ)

الحمدُ للهِ الذَّي منَّ على الصالحين بذِكره وطاعَتِه، وأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدَنَا محمَّدًا عبدُه ورسولُه وصفيُّه من مخلوقاتِه، صلَّى اللهُ عليه وعلى إلٰه وأصحابِهِ وأتباعِهِ، أهلِ دينِه ووُلاتِه، وسَلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: إنّ الظنّ السيئ بالآخرين، والعجلةَ في إصدار الأحكام على الناس، وعدمَ التماس الأعذار: لهو داءٌ خطير، وآفةٌ قلّ من نجى من تبعاتها.

كم اتَّهم بعض الناس أبرياءَ دون أنْ يتحقق من ذلك، كم اغتاب وحكم على نوايا آخرين، بسبب موقفٍ أو كلامٍ يحتمل أوجهًا كثيرة، ولكنهم لا يأخذون إلا بأسوأ الأوجه والاحتمالاتً.

أين هم من قول سفلنا الصالحِ رحمهم الله: إذا بلغك عن أخيك شيْءٌ تكرهه، فالتمس له العذْر جُهدَك، فإن لم تجد له عذرًا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه[١].

وإنه لا تكون عداوةٌ ولا قطيعةٌ إلا بسبب سوء الظنّ غالبًا.

ولا غيبةَ ولا نميمةَ ولا تجسسَ إلا بسبب سوء الظن.

وما نراه من الاتهامات والردود والسِّباب في وسائل الإعلام، بين الْمثقفين أو بعضِ الدعاةِ وغيرِهم، إلا بسبب سوء ظنِّ بعضِهم ببعض.

(١) صفة الصفوة ٣/ ١٦٨، موسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

إنَّ سوءَ الظنِّ هو الداء الذي عمَّ بلاؤه، والمرضُ الخبيثُ الذي صعُب شفاؤه.

فصاحبُ الظنون السيئة، يُسبِّبُ الشر والفرقة بين الناس، وهو الخاسر الأول من ذلك، فيُصاب بالإحباط والوسواس، ويُحسُّ بأنَّ الناس أعداءه حتى الأقربين، حتى قال أحدُهم: أنا لا آمَنُ أقربائي وأمي وإخوتي، وأحسُّ الذين من حولي أعداءً لي!!

فلْنحذر أشدَّ الحذر من سوء الظنّ، ولْنتعامل فيما بيننا بأحسن النوايا، ولْيعذُر بعضُنا بعضًا، حينما نرى من أحدنا ما نكرهه.

واعلم يا مَن تغلغل سوءُ الظنِّ في قلبك: أنَّ أسرارَ القلوب لا يعلمها إلا علَّامُ الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءًا، إلا إذا انكشف لك بعيانٍ لا يحتمل تأويلًا، فعند ذلك لا تعتقدْ إلا ما علمتَه وشاهدتَه، فما لم تشاهده ولم تسمعه ثم وقع في قلبك، فإنما الشيطان يلقيه إليك، فيجبُ عليك تكذيبه فإنه أفسق الفساق.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الظن، والحلم والتروي، إنه سميعٌ قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ الخامس والعشرون

خطر سوءِ الظنِّ (ب)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمد، وعلى إلٰه وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: معاشر الصائمين: إنّ سوء الظنّ من أعظم أسباب التقاطُعِ والتدابُر، والقتلِ وإراقةِ الدماء.

فما من شرٍّ إلا والظنُّ السيِّئُ أحدُ أسبابه، وما من جريمةٍ إلا وهو أحدُ دوافعها.

وما أكثرَ ما يطرق مسامعنا في مجالسنا وبيوتنا: فلانٌ قصد بكلامه كذا، وفلانٌ يعني بتصرُّفه كذا، وفلانٌ ما فعل كذا إلا رياءً ونفاقًا.

إنَّ علمَ ما تُكِنُّه النفوسُ وتُخفيه، والمحاسبةَ عليها هي من خصائص الله ـ سبحانه وتعالى ـ، الذي يعلم السر وأخفى، أما نحن، فليس لنا من إخواننا إلا ما ظهر من عملهم، وما بان من أقوالهم وأحوالهم، وهذا ما تربَّى وربَّانا عليه سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أنه قال: إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ. رواه البخاريُّ[1].

(١) (٢٦٤١).

وقد عُلم من قول الله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢] أنَّ بعضًا من الظن ليس إثمًا.

فكيف نُفرق بين الظنِّ الجائز والمحرم؟ قال العلماء: الظنُّ المحرم: الظنُّ السيِّئُ بالمسلم المستور الحال، الظاهرِ العدالة، فمَن عُرف عنه الخيرُ والصلاح فمن باب أولى، وأهلُ العلم والدَّعوةِ أعظم حُرمةً من غيرهم.

وأما مَنْ يُجاهر بارتكاب الخبائث والمعاصي، فلا يحرم سوء الظن به؛ لأنَّ مَنْ عرَّضَ نفسَه للتُّهَمِ كان أهلًا لسوء الظن به.

نسأل الله تعالى، أنْ يُوفقنا لِحُسْنِ الظن بالمسلمين، وأنْ يُجنبنا سوء الظن بهم، إنه على كل شيءٍ قدير.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





المَجلسُ السادس والعشرون

منزلةُ كبار السِّنِّ في الإسلام

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: إنّ كبيرَ السِّن الذي شاب شعره، ومضى دهرُه وعمْرُه، تشتدّ رغبته وحاجته إلى مَن يُشعره بالمحبة والاحترام، ومَن يُجِلُّه ويحفظُ شيبته بالبرِّ والإكرام.

فقد عاش جُلَّ حياتِه في العمل وكسبِ العيش، وقضاءِ الحوائج، والكدِّ على الأهل والأولاد.

وهل يجدُر بنا حينما كَبُرَ سِنُّه وخانته أركانُه: أنْ نتركه يجلس وحيدًا فريدًا بين الجدران؟

والمرأة الكبيرةُ كذلك، قضتْ حياتها في خدمةِ زوجها، وتربيةِ أولادها، ومتابعةِ شؤون بيتها، ثم بعد هذه الحياة الزاخرة، تعيش حبيسة المنزل، إنْ أحسن إليها أحدٌ زارها زيارةً خاطفة، وجلسةً عابرة.

ولا أُبالغ إذا قلتُ إنّ كثيرًا من الأمراض الملازمةِ لكبار السن هي من الوحدة التي يستوحشون فيها، والغربةِ التي يُكابدونها، فقليل من الناس من يُتقن مهارةَ التعامل مع كبار السنّ.

فما أشدَّ ما يُعانيه كثيرٌ منهم من المللِ، والْكآبةِ والفراغ؛ ولأجل هذا حثَّ الإسلامُ على إكرامهم والعنايةِ بهم.

فهذا إمامنا وقدوتُنا ﷺ، يوم أنْ دخل مكة فاتحًا مُنتصرًا، وإذا بأَبي بَكْرٍ ﵁ وأرضاه، آخذٌ بيدي أبيه أَبِي قُحَافَةَ، ذاك الشيخ الكبير، يسوقه إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لأبي بكر: «**أَلَا تَرَكْتَهُ، حَتَّى نَكُونَ نَحْنُ الَّذِي نَأْتِيهِ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَأْتِيَكَ. رواه الإمام أحمد[(١)] وصححه الألباني[(٢)].

فكبارُ السنّ لهم قدرٌ ومكانةٌ في شرعنا، لهم حقُّ الإجلال والاحترام، والصفحِ والعفوِ عن الزلَّات والهفوات.

وهذا من تعظيمِ الله وإجلاله، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**» رواه أبو داود[(٣)] وحسنه الألباني.

وإنَّ مَن أكرمَ ذا الشيبةِ المسلم، وتحمَّل ما يصدُر منه: فإنَّ الله تعالى سيُهيِّئ له عند كبره من يرعى حقَّ شيبته، ويقومَ بخدمته وإكرامه، فإنَّ الجزاءَ مِنْ جنسِ العمل.

اللَّهُمَّ ارْحم كبار السنّ يا ربِّ العالمين، وأعنَّا على القيام بحقوقهم، وخدمتِهم وإزالةِ الأذى عنهم، إنك جوادٌ كريم.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) (١٢٦٣٥).

(٢) في صحيح الجامع الصغير (٤٢٢ ـ ٨٦٥).

(٣) (٤٨٤٣).



المَجلسُ السابع والعشرون

تذكر نعم الله عليك في بدنك ودينك!

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى إلٰه وصحبه والتابعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين..

أما بعد: معاشر المسلمين: إن مِن أعظم وأجلِّ الطاعات والقربات، أن يتذكَّرَ المسلمُ ما أنعم الله به عليه، في بدنِه ودينه ودُنْياه.

قال بعضُ السلف: ذِكْرُ النِّعمة يورث الحب لله ﷻ(١).

وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: أكثروا ذكرَ هذه النِّعَم، فإن ذكرَها شكرُها(٢).

فما أعظم أنْ تستحضر أيُّها المسلم، وتتذكرَ على الدوام نعمَ الله عليك في بدنِك وأولادِك ودينِك.

ونِعَمُ الله كثيرةٌ عظيمة، وما خَفِيَ منها أكثرُ وأعظم، والكثيرُ من الناس يستحضر نِعْمةَ المأكلِ والمشربِ والمسكنِ فقط، ولم يعلم أن هذه ـ مع عِظَمها ـ من أقلِّ ما أنعم الله به عليه، وهي نعمٌ أعطاها الله حتى الكفار والمشركين والبهائم.

فكم من النعم العظيمة الجليلة، التي تتمتع وتتقلَّب بها، وأنت لا تتذكَّرها ولا تستحضرها، أليس سترُ الله عليك، وعدمُ كشف معايبك

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧١.
(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٥.

وذنوبك نعمةٌ لا تُقدَّر بثمن؟ ماذا عن نعمة الله عليك في سلامةِ عرضك وأهلك، ألست مُعافى من الوسوسة الْمُهلكة؟ ألست مُعافى في بدنك؟ عندك قوتُ يومك؟ آمنًا في بيتك وأهلك؟ ألست تتمتع بالنظر والسمع والعقل؟

وإن كنت قد سُلبتَ نعمةً، فقد عُوّضتَ بأضعافها.

جاء رجلٌ إلى أحد السلف الصالح، يشكو إليه الحاجة وقلَّة المال، فقال له: أتُحبُّ أنَّ لك ببصرك هذا الذي تُبصِرُ به، مئةَ ألف درهم؟ قال الرجل: لا، قال: فبيدك مئةَ ألف درهم؟ قال: لا، قال: فبرِجْلِكْ؟ قال: لا.

فذكَّره نِعَمَ الله عليه ثم قال له: أرى عندك مئينَ ألوفٍ، وأنت تشكو الفقرَ والحاجة.

فيا كثير التسخُّطِ والتشكّي، اعْرِفْ قَدْرَ الصِّحَّةِ والعافية، واشْكر الله على ما أنت فيه، فبالشكر تزداد النعم وتدوم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

يا أيُّها الظالم في فعله والظلم مردودٌ على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

نسأل الله تعالى، أن يُلْهمنا شُكرَ نِعْمِه، وأن يعيذنا من كفرانها، إنَّه سميع قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁



المَجلسُ الثامن والعشرون

حقوق الإمام والمؤذن (أ)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمد، وعلى إلٰه وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: إن ما يحدث في بعض المساجد من المشاكل والتنافر بين جماعة المسجد لأمرٌ محزن.

وبيوت الله لم تُبْن إلا لغايات عظيمة، وحِكَمٍ جليلة، ومن أعظمها: أن يجتمع ويتوحَّد المسلمون فيها، فيحصل التعارف بينهم، وتسود الألفة والمحبة فيما بينهم، ويتفقد الأخ أخاه، والجار جاره.

ومن أعظم أسباب ذلك: عدمُ معرفة كلِّ واحدٍ ما له وما عليه من الحقوق.

ولْنبدأ أولًا بإمام المسجد: فمن أعظم حقوق الإمام:

أولًا: ألا تُقامَ الصلاة إلا بإذنه أو عذره.

وما أجمل ما يقوم به بعضُ المأمومين والمؤذنين، بالاتصال على الإمام عند تأخره، وأخذِ الإذن منه بالصلاة، فهذا من أعظم الورع والإيمان، وطريق للسلامة من الآثام.

ثانيًا: عدمُ الاعتراض عليه في اجتهاداته الفقهية السائغة، كالجمعِ أو عدمِه عند المطر، وتطويلِ أو تقصير الصلاة، وكذلك اجتهاداتِه التنظيميةِ في المسجد، كتوسيع المسجد، أو تغيير إنارته ونحو ذلك.

ثالثًا: احترامُه وتقديره، وعدمُ إساءة الظن به، والكلامِ عليه.

وأما حقوقُ المؤذن على جماعة المسجد، فمنها: **أولًا**: أن لا يؤذِّن أحدٌ مكانه إلا بإذنه أو عذره، وأن لا يُضايقه أحدٌ عند الإقامة، أو يأمرَه بها قبل مجيء الإمام، فإذا رأى الجماعة تأخر الإمام، قاموا بالاتصال به إن أمكن، فإن تعذر الاتصال، فيُشار عليه بالإقامة برفقٍ ولين.

ثانيًا: عدمُ الإكثار من تدبيره، والتذُّمر المُمِلِّ من بعض تصرفاته، فإن لُوحظ عليه شيء، فيُناصَح على انفرادٍ برفق ولين.

ثالثًا: أنه لا يحق لأحد التحكم في الإضاءةِ أو التكييف، أو غير ذلك من أمور المسجد إلا بإذنه، إلا ما جرت العادة بذلك، كتشغيلها لمن جاء للمسجد مبكرًا، وإطفائها إذا لم يكن بالمسجد غيره، فهذا لا بأس به، لكنَّ الخطأ القبيح، أن يفعل كلُّ أحد ما يراه، فهذا يطفئ هذا المكيف أو يُغلقه، والآخر يفتح النوافذ أو يغلقها، فهذا من تدخل الإنسان فيما لا يعنيه، ويُحدث في النفوس شحناء من حيث لا يشعر.

نسأل الله تعالى أن يُديم الألفة بين الأمة، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



المَجلسُ التاسع والعشرون

حقوق جماعة المسجد على الإمام والمؤذن (ب)

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: معاشر الصائمين: تقدم الحديث عن حقوق الأئمة والمؤذنين على جماعة المسجد، وبقي حقوق جماعة المسجد عليهما.

فمن أعظمِ حقوقِهم على الأئمة والمؤذنين: الحرصُ على أداء الواجِبِ حضورًا ووقتًا، فلا يحق لمؤذنٍ أو إمامٍ كثرةُ التخلف والغياب، وكثرةُ الذهاب والإياب.

ثانيًا: أن يصلي بهمُ الإمامُ بطمأنينةٍ وتؤدة، ويحافظَ على أداء الصلاة بأركانها وواجباتها وسُننها، وأن يكون بشوشًا حليمًا رفيقًا.

ثالثًا: أن يُهَيّئَ المؤذنُ المسجدَ للمصلّين، وأن يفتح الأبواب قبل الأذان بوقتٍ مناسب، ويغلقه بعد ذلك حتى لا يُعْبَث به.

ويكونُ على قدْرٍ من الاهتمام بمتابعةِ نظافةِ المسجد، وحثِّ عامل النظافة والإشرافِ عليه، ولو طيّبه وبخره فهذا أكمل وحسن.

فلا بدَّ لكل واحدٍ أن يتقن عمله، ويؤديَ واجبه على أتم وجه، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ**»[1]؛ أي: يحكمه.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٩٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٨٨٠).

والحذرَ الحذر من كثرة النقد واللوم، فإن ضرره أكثر من نفعه.

وأشدُّ ما يحدث في المساجد وأشنعُه: أنْ يكونَ بين الإمام والمؤذن تباغض وتنافر، وتباعُدٌ وتناحُر، والواجب أن يسود بينهمُ التَّفاهمُ والمحبة، والألفةُ والمودة.

وفي الختام أيها الصائمون: لِيَحذر أحدُنا أن يرجع من صلاته بالأوزار والآثام، بدلًا من الأجور العظام، والقَبولِ من الواحد الديَّان، وذلك بسبب كلمةٍ قالها لأحدٍ بغير حق، أو غِيْبَةٍ على إمام أو مؤذنٍ أو مأموم، أو سبِّه أو التكدير عليه، أو بتدخله في شيء لا يعنيه.

ولْيكن اهتمام المسلم مُنصَبًّا على اسْتغلالِ كلِّ دقيقةٍ يمكثُها في المسجد، بالذكر والصلاة وقراءةِ القرآن، ولو تأخر الإمام فلا تقلق، فأنت في صلاة ما انتظرت الصلاة، وفي «الصحيحين»[(١)] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، وَالمَلَائِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ صَلَاتِهِ أَوْ يُحْدِثْ**».

فاحذر أن يصرفَك الشيطانُ لغيرِ الهدف الذي أتيت من أجلِه، فيكونُ همُّك وشغلُك الشاغلُ الشقاقَ والعناد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللَّهُمَّ ألِّف بين قلوب المسلمين، وأذهب عنهم الشحناء يا ربِّ العالمين.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (٣٢٢٩)، ومسلم (٦٤٩).



المَجلسُ الثلاثون

الحرص على دوام العمل الصالح

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: **معاشر الصائمين**: ها نحن على وشك وداعِ هذا الشهر الْمُبارك، الذي أحيا اللهُ بتنوّعِ العباداتِ فيه قلوبَنَا، وأصَحَّ بالإمساك عن الطعام أبدانَنا، وعطّر بكثرة الذكر فيه آذانَنا.

وإنَّ العبرة بدوام العمل لا بكثرته، فلْنعزم على الْمُداومة على الأعمال الصالحة التي عملناها في رمضان، ولتكن دائمةً ولو كانت قليلةً، فذاك أحبّ إلى الله تعالى.

فقد سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» متفق عليه(١).

وهذا الحديث منهجٌ وقاعدةٌ في حياة الإنسان، يسير عليه في جميع شؤونه، فالذي يُريد مُمارسة الرياضة، أو تخفيفَ وزنِه، لا يبدأ بالعمل الشاق فيملّ وينقطع، بل يمشي في اليوم وقتًا قصيرًا، ويحتجب عن بعض الطعام، ويزيد شيئًا فشيئًا مع مرور الأيام، ويستمر على ذلك.

والذي يُريد قيام الليل لا يبدأ بقيام ساعةٍ مثلًا، بل يقوم وقتًا قليلًا

(١) البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٣).

حتى تعتادَ ويتمرّنَ على القيام، ثم يزيد بعد ذلك شيئًا فشيئًا، ثم يثبت عليه.

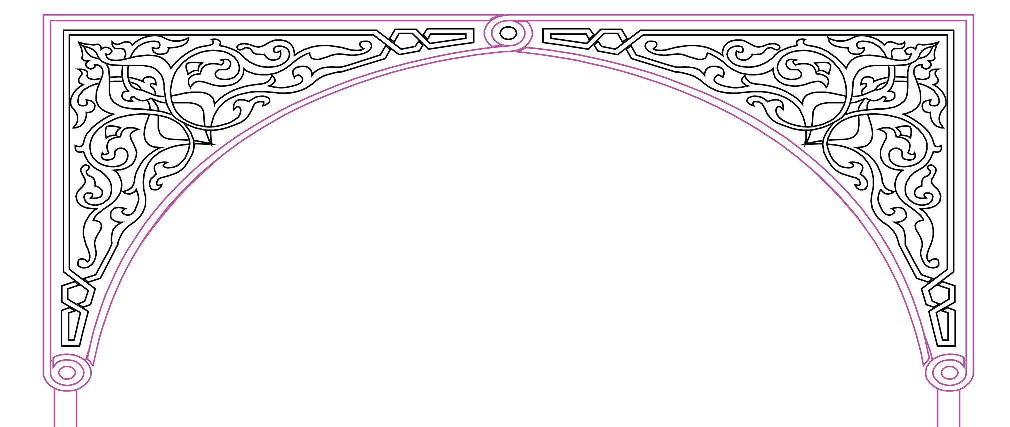
وما أكثر من رغب في عملٍ صالحٍ فبالغ فيه، وأرهق نفسه في القيام به، ثم يكسل بعد ذلك ويفتُر، وهذا من حيل الشيطان ومكره، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير، إمَّا ليتوصَّل بها إلى بابٍ واحدٍ من الشر، وإما ليفَوِّت بها خيرًا أعظمَ، وأجلَّ وأفضل من تلك السبعينَ بابًا[1]. اهـ.

نسأل الله تعالى أنْ يُعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأنْ يُعيننا على دوام العمل، ويُثبتنا على دينه، إنه سميعٌ قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) بدائع الفوائد، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ـ عادل عبد الحميد العدوي ـ أشرف أحمد ٢/ ٤٨٥.



«مجالس آخر الليل»



المَجلسُ الأول

أعظم الخاسرين في رمضان

الحمد للهِ الَّذِي أتقَنَ بحكمتِهِ مَا فَطرَ وبنَى، وشرعَ الشرائعَ رحمةً وحِكْمةً طريقًا وسُنَنًا، أحْمده على فضائلهِ سِرًّا وعلَنًا، وأشهد أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أرْجو بها الفوزَ بدارِ النَّعيم والْهنَا، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولهُ الَّذِي رفَعَه فوقَ السمٰوات فدَنَا، صَلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابه الكرام الأمَنَاء، وسلَّم تسليمًا.

أما بعد:

إخواني: لقد فاز الكثير من أهل الإيمان والتقوى في هذا الشهر، وينتظرون جائزتهم الكبرى يوم الحساب.

وإذا كان في هذا الشهرِ أناسٌ رابحين وفائزين، فهناك أناسٌ مُفلسون وخاسرون، وإنَّ مِن أعظم الخاسرين، وأشدِّ المحرومين في هذا الشهر الكريم: رجلًا لا يعرف للحرام طريقًا، ولا إلى ما يغضب الرحمٰن سبيلًا! صام شهره، وقام ليله، تاليًا للقرآن، حافظًا بصره وسمعه عن الحرام، إذًا فما الذنب الذي فعله، وما الجرم الذي اقترفه؟ اسمع الجواب من الصادق من المصدوق ﷺ كما رواه مسلم[(١)]: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**».

---

(١) (٢٥٦٥).

فهذا نصٌّ صريح على أن من هجر أخاه أنه لا يُغفر له ذنب حتى يصالحه، وقال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**» متفق عليه[(١)].

وفي روايةٍ لأبي داود[(٢)] صححها الألباني: «**فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**».

وفي «الصحيحين»[(٣)] قال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**».

فيا من قطعت وهجرت أخاك أو قريبك، كيف تهنأ في عيشك وأنت تسمع هذه الأحاديث؟ أين إيمانك بالله تعالى وبرسوله ﷺ؟ حَكم الله ورسوله عليك بأنك بهجرك أخاك المسلم استحققتَ دخولَ النار، وأنه لا يرفع لك عمل، ولا يغفر لك ذنب!!

فيا خسارة من هذه حاله، أما تخشى أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]؟

ويا سبحان الله!! على ماذا هجرت أخاك؟ ممن رضعت أنت وإياه من ثدي واحد! هجرته لأجل دنيا فانيةٍ حقيرةٍ! أو زلَّة لسان لا يُعصم منها أحد!

أمَا لَك في رسولك وحبيبك ﷺ أسوةٌ حسنة؟ أتعرف من هو عبد الله بن أُبيّ بن سلول؟ ذلك المنافق الذي اتهم عرض رسول الله ﷺ!! اتهم زوجته عائشة رضي الله عنها بالفجور والزنا، حتى دخل الهم والحزن في كل بيت من بيوت المدينة، وكُربت عائشة رضي الله عنها كربًا شديدًا، واغتم صاحب القلب الأبيض ﷺ غمًّا شديدًا، حتى برَّأ الله عائشة من فوق سبع

(١) البخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٦٠).
(٢) (٤٩١٤).
(٣) البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

سمٰوات، عبد الله بن أُبيّ الذي قال: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا﴾؛ يعني: نفسه، (الأذل)؛ يعني: رسول الله، وما زال أذاه في رسول الله وأصحابه وعرضه حتى داهمه الموت، فجاء ابنه عبد الله بن عبد الله فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفِّنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له، فأعطاه صاحب القلب الأبيض الطاهر قميصه وقال له: «**آذِنِّي أصلي عليه**»، فلما قام رسول الله ﷺ وثب إليه عمر فقال: يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا: كذا وكذا، يعدِّد عليه قوله. فبتسم رسول الله ﷺ وقال: «**أخِّر عني يا عمر**».

فقال عمر: أما قال الله تعالى: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠]؟

فقال: «**إني خُيِّرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين فَغُفِر له: لزدت عليها**».

قال: فصلى عليه رسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا﴾ الله أكبر! ما أعظم قلب رسول الله وما أطهر فؤاده، مع كل ما فَعله واقترفه هذا المنافقُ المحسوبُ من المسلمين، وهو ليس بمسلم ولا قريب، إلا أنه عليه الصلاة والسلام: ما هجره وما قطعه، بل صلَّى عليه وكفَّنه بقميصه واستغفر له.

وعندما دخل مكة فاتحًا منتصرًا وقفت أمامه جموعٌ من قريش أذلةً صاغرين، وبعضهم قد كان آذى رسول الله أذًى شديدًا، فمنهم من قد سبَّه وشتمه، ومنهم من اتهمه بالسحر والشعوذة، ومنهم من ضربه وضرب أصحابه، فقال لهم: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال قولته الشهيرة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وها هو يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ألقاه إخوته بالجبّ بعد أن تآمروا على قتله،

وفرقوا بينه وبين أبيه وأهله أربعين سنة، ذاق خلالها مرارة العبودية والسجن والظلم، فلما رفع الله من شأنه وأصبح عزيز مصر والْتقى بإخوته فقالوا له: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١] فبماذا رد عليهم؟ قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] فلم يُذَكِّرْهم بالماضي ولا حتى عاتبهم، بل سامحهم ودعا لهم.

فيا من هجرت أخاك أو أحدًا من الناس: ألست تردِّد هذه الأيام بالدعاء: «**اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»؟ فكيف تطلب من الله أن يعفو عنك؟ والله يطلب منك أن تسامح وتعفو عن أخيك وتصافحه فتأبى وتمتنع!!

فيا سبحان الله!! إن أردت أن يعفو الله عنك فاعف عن الناس، إن أردت أن يتجاوز الله عنك فتجاوز عن الناس، فالجزاء من جنس العمل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهُمَّ إنا نسألُك بأنا نَشْهد أنَّك أنت الله لا إلٰه إلَّا أنت الأحدُ الصَّمَدُ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكنْ له كفوًا أحدٌ، يا ذَا الجلالِ والإكرامِ، يا مَنَّانُ يا بديعَ السمٰواتِ والأرضِ، يا حيُّ يا قيومُ، نسألك أن تُوفِّقَنَا لما تُحبُّ وترضَى، وأنْ تجعَلنَا ممَّنْ رضِي بك ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، ونسألك أنْ تُثبتنا على ذلك إلى المماتِ، وأنْ تغفرَ لنَا الخطايَا والسيئاتِ، وأنْ تَهبَ لنا منك رحمة إنَّك أنْتَ الوهابُ.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبهِ وأتْبَاعهِ إلى يوم الدِّين.



المَجلسُ الثاني

كُنْ بسَّامًا بَشُوشًا

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، مالكُ الدنيا ويوم الدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى إلٰه وأصحابه صلاة وسلامًا تامّين إلى يوم الدين.

أما بعد: **إخواني**: كان نبيّنا وإمامنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا مشغولًا مع كبار المشركين، ومُنْهَمِكًا مع ساداتهم ورُؤَسائهم، يدعوهم للإسلام، ويتلو عليهمُ القرآن.

فبينما هو على هذا الحال، إذا بصوتٍ يُناديه، ويُقاطع حديثه مع عِلْيةِ القوم، ويطلب منه أنْ يُصغيَ إليه، وجعل يسألُه عن شيءٍ ويلح عليه، فالْتفت وإذا به رجلٌ ضرير العينين، لكنه صحيحُ السمع، فقد سمع حديثه معهم ولم يُراع ذلك، ولم يصبر حتى يفرغَ منهم، وهذا الرجل هو ابنُ أمِّ مكتوم، ـ وكان ممن أسلم قديمًا ـ، وقد أحبَّ النبيُّ ﷺ، أنْ لو صبر وسكت حتى يفرغ من إقناع القوم بالإسلام، لكنَّهُ مضى في إلحاحه وطلبِه، فتضايق منه وعَبَس في وجْهِهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، لِيُكْمل حديثه معهم.

فما كان من الله تعالى إلا أنْ أنزل قرآنًا يُتلى إلى يوم القيام، يُعاتب فيه نبيّه وخليله على عُبوسِه وتولّيه بِقَوْلِهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ١ ـ ٤]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ﴾ [عبس: ١١]؛ أي: لا تَعْبَسْ في وجه من جاءك يسعى وهو يخشى، وتتصدّى لمن استغنى.

فلم يكن إلْحاحُ هذا الأعمى مُبيحًا لعبوس النبي ﷺ في وجْهِه، فهل يُباح العبوس في وجوه المسلمين لغيره؟

إذا كان تعالى عاتَب نبيَّه وخلِيله ﷺ، بِعبُوسِه في وجْهِ أعمى لا يَشْعُرُ بِعبُوسه.

فكيف بمن عَبَس وكَلَح في وجه مَن يُبْصر ويُؤلِمُه ذاك العُبوس! كيف بمن هو شاحب الوجه، كالحٌ مُقطّبٌ على كلّ أحوالِه، وعلى أقربائه وأهلِه.

هذا والرسول عليه الصلاة والسلام إنما فعل ذلك حرصًا على دعوة كبار القوم.

فجاء الأعمى وهو مشغولٌ بدعوتهم ونُصحهم، فقاطعه وهو في أوجِ انشغاله، فلم يكن عُبُوسُه عادةً وخُلُقًا له، إنما كان عارضًا أدّاه إليه اجتهادُه، وحرصُه على تأليفِ قلوبِ سادةِ قريشٍ.

ومع ذلك عاتبه ربّه في آياتٍ تُتلى إلى يوم القيامة، فغيرُه أحقّ أنْ يُقرَّعَ على كُلُوحِه، وأنْ يُوبَّخَ على عُبُوسِه.

هذا إذا كان شُحوبُ الوجه فقط، فكيف إذا صاحب ذلك بذاءةُ اللسان؟ أو القطيعةُ والخصام؟ فإنّ ذلك سوءٌ على سوء، فلْيُراجعْ نفسَه مَن هذه صفتُه قبل أنْ يَمْثُل أمام ربّه فيندمُ حين لا يُفيدُ الندم.

يا أَخِيْ لا تَمِلْ بِوَجْهِكَ عنّي ... ما أنَا فَحْمَةٌ ولَا أنْتَ فَرْقَدُ

عند ذلك نعرف قيمة الأخلاق في ديننا، نعرف مكانة البشاشةِ والابتسامة، فهي ليست سُلُوكًا نكسب بها وُدّ الناس، وإنما هي عبادةٌ نتقرّب بها إلى الله تعالى، فإذا قصّرنا فيها فإننا نستحقّ من الله تعالى اللومَ والعتاب، وإذا أدّيناها كما أُمرنا فزنا بالأجر والثواب.

إخواني: إنَّ طلاقةَ الوجه وحسنَ البشاشةِ والبشرِ هو السِّحر الحلال

الجذَّاب، وهو الذي يَسْتولي على العقول والألباب، وصاحبُ البِشْرِ محمودةٌ أفْعاله، معذورةٌ هنَّاته، بخلاف العابس الْمُقطِّب، الْمُتجهِّم الشَّاحب، فهو والله مِمَّن يُستعاذُ منه، وتَستولي على القلب كُرَبٌ وضِيقٌ عند لَقَائه.

أخو البِشْرِ محمودٌ على حُسْنِ بِشْرِه ولن يَعْدِمَ البغضاءَ مَن كان عابسًا

إنَّ البشاشةَ تجلب السعادة على الْمُبتسم نفسِه، وعلى من يرونه أو يُقابلونَه.

فأمَّا السعادةُ التي يجدها الْمُبتسم، فهي الراحة النفسيّة، والثناء العاطر الذي يسمعه منَ الناس، والحفاوةُ والمحبّةُ التي تزرعها البشاشة في قلوب الآخرين.

وأما أثر الابتسامة على الآخرين، فهو أمرٌ لا يحتاج إلى دليل، فانظر إلى حالك أثناء مُقابلتك لأصحاب البشاشة والابتسامة، تجد نفسك سعيدًا مسرورًا، ولو كنتَ قبل ذلك مهمومًا، وتُحس بالحياة تدُبّ في جسدك، بل إنّك تنسى مرضك عند رؤيتك لهم.

وأمّا العابس والمقطب فعلى عكس ذلك، فلا تُفارقه إلا وينقلب فرحُك حزنًا، وسعادتُك غمًّا، فمُقابلةُ العابس والسلامُ عليه تُكدّر الخاطر، وتُضيّق الصدر، وَتَجْلِبُ الأحزان.

اللَّهُمَّ اجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا، وتفرقنا من بعده معصومًا، ولا تجعل فينا ولا من بيننا شقيًّا ولا محرومًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

۞ ۞ ۞



المَجلسُ الثالث

هذه رحمةُ الله تعالى، فلْنتعرض لها

الحمدُ لله الَّذِي لشرعه يَخْضَعُ مَنْ يعْبُد، ولِعَظَمتِه يخشعُ مَنْ يَرْكع ويسجُد، ولِطِيْب مناجاتِه يسهرُ المتَهْجِّدُ ولا يرْقُد، ولِطَلبِ ثوابه يَبْذِلُ الْمُجَاهدُ نَفْسَه ويَجْهد، أحمده حَمْدَ مَنْ يَرْجُو الوقوفَ على بابِه غيرَ مُشَرَّد، وأشهد أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحْدَه لا شريكَ له شهادةَ مَنْ أخلصَ لله وتَعَبَّد، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الَّذي قام بواجب العبادِة وتَزَوَّدْ، صلَّى الله عليه وعلى سائرِ إلٰه وأصحابِه صلاة مُسْتَمِرَّة على الزمانِ الْمُؤبَّد، وسلَّم تسليمًا.

أما بعد: **إخواني**: سيكون الحديث هذه الليلة عن رحمة الله تعالى، وتأملوا هذا الحديث الصحيح، الذي رواه البخاري(١) ومسلمٌ(٢) وغيرُهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا ربِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا ربِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي وَأَنْتَ المَلِكُ؟»**.

---

(١) (٦٥٧١).

(٢) (١٨٦).

فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «**ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً**».

فلك أنْ تتخيل مدى اتساع الجنة وعظمتها وكِبرها، وإذا كانت السمٰوات السبع بأفلاكها ونجومها وكواكبها والأرضين السبع كلها هي عرض الجنة، فكيف بطولِها وارْتفاعِها؟

وإذا كان آخر من يدخل الجنة هذا نعيمه وملكه، وهو الذي قد أفرط في الدنيا في المعاصي والذنوب والتقصير، فكيف بأصحاب اليمين والسابقين؟ ما هو ملكهم، وما هو نعيمهم؟

نسأل الله تعالى الفردوس الأعلى من الجنة.

وفي «صحيح مسلم»[١]؛ أن مُوسَى عليه السلام سَأَلَ رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ.

فلا إلٰه إلا الله، ما أرحم الله، وما أكرمه وأحلمه، إذا كان هذا فعله بأدنى أهل الجنة، مما يعني أنه من أعتى العصاة في الدنيا، فكيف فعله بالصالحين والمؤمنين!

قال بعض السلف: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي، وبين محاسبة أبوي، لاخترت محاسبة الله على محاسبة أبوي، وذلك أن الله تعالى أرحم بي من أبوي.

---

(١) (١٨٩).

وبعد أن سمعنا إلى هذه الأحاديث والآثار، عن رحمة العزيز الغفار، هل يحق لنا أن نبقى مقصرين في حق الله! أما آن لنا أنْ نذُوقَ طعم الإيمان، ولذةَ التوبة والإنابة! فرحمةُ الله قريبٌ من الْمُحْسِنين.

صلى ابن المنكدر رَحِمَهُ اللَّهُ على أحدِ العصاةِ المقصّرين، فقيل له: تصلي على فلان؟ فقال: إني أستحي من الله أن يعلم مني، أنَّ رحمته تعجز عن أحد من خلقه.

فرحمةُ الله قريبةٌ سهلة، ليست حكرًا على أحد دون أحد.

فيا من أسرفتَ على نفسك بالمعاصي والذنوب، واقْترفت الموبقاتِ والعظائم، مهما عظم جُرْمك فربّك رحيم كريم، فأقبل إليه تائبًا نادمًا، فسوفَ ترى بعد ذلك السعادة والأنسَ والراحةَ، وسترى كيف يَفْتَحُ عليك مِنْ فضله وجودِه.

وخذ مثالًا لأحد الشعراءِ الفاجرين المقذعين، قال عنه ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(١): وَبِالْجُمْلَةِ، فَقَدْ ذَكَرُوا عَنْهُ أُمُورًا كَثِيرَةً، وَأَشْعَارًا مُنْكَرَةً، وَمُجُونًا كَثِيرَةً، وَلَهُ فِي الْخَمْرِيَّاتِ وَالْقَاذُورَاتِ، وَالتَّشَبُّبِ بِالْمُرْدَانِ وَالنِّسْوَانِ أَشْيَاءُ بَشِعَةٌ شَنِيعَةٌ.

وَقَدْ رَآهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِأَبْيَاتٍ قُلْتُهَا:

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فَمَنِ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ

---
(١) في البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥.

مهما عظمت ذنوبك فعفو الله أعظم، ومهما كثرت معاصيك فرحمة الله أوسع، وكيف تخاف الحتوف، وباب التوبة مفتوح؟

ما أعظم التوبة، وما أجلَّ ثمارها، وما أحلى آثارها ونتائجها، فما أسعد التائبين، حيث تعرضوا لنفحات ربِّ العالمين.

اللَّهُمَّ ارزقنا توبةً تمحو بها ذنوبَنا، وتغسل بها زلَّاتنا ومعاصينا، إنك على كل شيء قدير.

وصَلَّى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِه أجمعين.



المَجلسُ الرابع

ما أجمل وأحسن المداراة وطيب الكلام

الْحَمْدُ للهِ الْمُسْتَوْجِبِ لِصِفَاتِ الْمَدْحِ وَالْكَمَالِ، الْمُسْتَحِقِّ لِلْحَمْدِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي هَدَى بِهِ مِنْ الضَّلَالِ، وَأَحلَّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ الْآصَارَ وَالأَغْلَالَ، فَصَلواتُ اللهُ وسلامُه عَلَيْهِ وَعَلَى إِلٰه خَيْرِ آلٍ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا نُصْرَةً لِلدِّينِ، حَتَّى ظَهَرَ الْحَقُّ وَانْطَمَسَتْ أَعْلَامُ الضَّلَالِ.

أما بعد: **إخواني**: إن من أعظم وأخطر آفات اللسان: الكلام القاسي الشديد، بدلًا من الكلام اللَّينِ السديد، وإطلاق العبارات الجافة الغليظة، بدلًا من العبارات الهينة الرفيقة، فكم شتَّتت هذه الكلمات من أصدقاء، وكم فرقت من أحبابٍ أوفياء، ويا سبحان الله، مَا ضَرَّ هؤلاء، لو استخدموا الكلمات الهينة اللينة، فتنشرح بسببها الصدور، ويصفو الود، وتسود المحبة والألفة.

معاشر المصلين: لِنَأخذْ من مدرسة النبي ﷺ أدب ولينَ الكلام، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا، قَالَ: «**قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ**»

متفق عليه[(١)].

هل قالت عائشةُ ﵂ باطلًا؟ هل قالت كلامًا في غير محله؟ ما قالت لهم إلا ما يستحقونه، فهم بدؤوا بالسب والشتم، حيث قالوا: السامُ عليكم؛ أي: الموت، فردت بالمثل وزادت: واللعنة، واللهُ تعالى قد لعنهم في كتابه، فلماذا أنكر عليها النبي ﷺ في ردها؟

قال ابن حجر: اَلَّذِي يَظْهَر أَنَّ النَّبِيّ ﷺ أَرَادَ أَنْ لَا يَتَعَوَّد لِسَانُهَا بِالْفُحْشِ، أَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهَا الإِفْرَاط فِي السَّبّ[(٢)]. اهـ.

هكذا أدّبنا الإسلام وهذّب كلامَنا حتى مع الكفار.

والفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة بذلُ الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين، وهي مباحة ومستحسنةٌ في بعض الأحوال، والمداهنة المذمومة المحرمة: هي بذل الدين لصالح الدنيا.

وتشتدُّ الحاجة إلى المداراةِ والكلامِ اللين الحسن، في حق الأقارب والأصدقاء، فإن لم تفعل ذلك، نفر منك أولادك وأصدقاؤك.

فيا مَن عوّد لسانه الشدَّةَ والغلظة، تأملْ قولَه تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]؛ فالله تبارك وتعالى أمرنا أنْ يقول بعضُنا لبعض في الكلام وعند الجدال والنقد أحسن وأفضل وأجمل الكلام، فلا يكفي أنْ نقولَ الكلامَ الحسن، بل ينبغي أنْ نقولَ أحسنَ كلامٍ عندنا.

لماذا؟ لأن الشيطان ينزغ بين الناس، ويحرض بعضهم على بعض، فأكثر أسبابِ المشاكل والعداوات والقتل، من عدم أخذ الناس بهذا المنهج.

---

(١) البخاري (٦٤٠١)، (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

(٢) فتح الباري ١١/ ٤٣.

إخواني: لا بدّ لنا أنْ نتلطف مع أصدقائنا وأقارِبنا بل وأعدائنا، بالكلام اللين الرفيق، وأنْ نبتعد عن الكلمات النابية القاسية، وأنْ نُجاملَهم فيما لا محذور فيه.

فقل لمن حولك: إني أحبك يا فلان.

قل مرَّةً: كم أعجبني فيك هذا التصرف الجميل.

أَسْمعه هذه العبارة: لقد أسعدتني وشرحتَ صدري بقولك كذا، أو بفعلك كذا.

كم جذبت هذه العباراتُ العذبةُ قلوبًا نافرةً، وكم أسعدتْ أفئدةً جامحة، وكم لها من الأثر الكبير في دوام الأُلْفةِ وتقويتِها.

وقد أرشدنا نبيُّنا ﷺ، إلى إبداء المشاعر الطيبة تجاه أخينا المسلم فقال: «**إِذا أَحبَّ أَحدُكُم أَخاهُ فَليُعلِمهُ أَنهُ أَحبَّهُ**»(١).

احرصْ على حفظِ القلوب مِن الأذى ... فرجوعُها بعد التَّنافر يَعْسُر
إنَّ القلوبَ إذا تنافر وُدُّها ... مثلُ الزجاجةِ كسرها لا يُجْبَرُ

اللَّهُمَّ ارزقنا لسانًا طيبًا، وكلامًا ليِّنًا، وجنِّبنا الفحش في الأقوال والأعمال يا ربِّ العالمين.

وصَلَّى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍّ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.



(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٢١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.



المَجلسُ الخامس

أهمية الوقت، وطُرق العناية به

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلَّمه البيان، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تُبوِّئُ قائِلَها دارَ الأمان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوثُ بأوضحِ حجةٍ وأظهرِ برهان ﷺ، وعلى إلٰه وأصحابه وأزواجه وتابعيهم بإحسان.

أما بعد: **إخواني**: إنَّ الوقت هو الحياة، فما الأيام إلا صفحاتٌ في كتاب حياتنا، وما الساعات في تلك الأيام، إلا كالأسطر في صفحاتها، التي سرعان ما تَخْتِمُ الصفحةَ حتى ننتقلَ إلى صفحةٍ أخرى، وهكذا حتى تنتهيَ صفحاتُ كتاب العمر.

وبقدر ما نحسن تقليب صفحات أيامنا تلك، نحسن الاستفادة من كتاب حياتنا.

ولا شك أن إدراك الإنسان لقيمة وقته، ليس إلا إدراكًا لوجوده وإنسانيته، ووظيفته في هذه الحياة الدنيا، وهذا لا يتحقق، إلا باستشعاره للغاية التي من أجلها خلقه الله ﷻ.

والوقت أغلى ما تَمْلكه أيها المؤمن، فهو كَنْزُكَ، ورأْسُ مَالِك.

وهو ليس كالمال الذي يُمْكِنُنا ادّخاره، فهو يمر سريعًا، سواءٌ أحسنا استغلاله أو أسأنا.

والْمُشكلة عندنا ليس من قلّةِ الوقت، بل من عدم تنظيم الوقت، وعدم وجود النية الصادقة في اسْتغلاله وتنظيمِه.

وحُسنُ تنظيم الوقت، هو الفارقُ بين الشخص الناجح والفاشل.

إخواني: إنّ من الحرمان أنْ يُضيع العاقلُ وقته الثمين، الذي هو عمره وحياتُه، بين جلَساتٍ طويلةٍ مع الأصحاب، أو لهوٍ وأكل في الاستراحات، أو سياحةٍ أو صيدٍ أو مُتابعةٍ لِلْمُباريات أو الأخبار.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: إنني لأتعجب ممن يجلس خاليًا عن الاشتغال[1]! ا.هـ.

وحُقّ له أن يتعجب، فكيف يرضى العاقل أنْ يقضي وقتًا، بدون شغل ينفعُه في دينِه أو دُنياه!

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة: فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله، فهو يقعد في السوق أكثر النهار، ينظر إلى الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر! ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج! ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحديث عن السلاطين، والغلاء والرُّخْص، إلى غير ذلك.

فعلمتُ أنَّ الله تعالى لم يُطْلِعْ على شرف العمر، ومعرفةِ قدر أوقات العافية، إلا من وفَّقه وأَلْهَمَهُ اغتنام ذلك، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥][2]. اهـ.

أيها الإخوة المصلون: إنّ عُظماءَ الهمّة كانوا أحرص الناس على أوقاتهم، وأحرسهم له من قاطعي الطريق والبطالين، فهذا الإمامُ ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ يقول: «إني لا يحل لي أن أضيع ساعةً من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرةٍ ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أَعْمَلْتُ فكري

(١) الجواهر والدرر (١/ ١٧٠).
(٢) صيد الخاطر (٢٤١).

في حالة راحتي وأنا مُسْتَطْرِح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أُسَطِّرُه».

وهذا إمام زمانِه، شيخُ الإسلامِ ابنُ باز رحمه الله تعالى، كان مُعَدَّلُ نومه لا يزيد في اليوم والليلة على أربع ساعات، ويقضي عشرين ساعةً في العبادةِ والتعليم وكشف الكرب، والنصح والوعظ والفتوى، وإكرامِ الضيوفِ والإصلاح والشفاعة.

ومع كل هذه الأعمال الكبيرة، التي نعجز عن عُشْرِها إلا من شاء الله، كان لا يشتكي ضيقَ الوقت كحالنا مع قلّة أشغالنا، لأنه اسْتطاع تنظيمَ وترتيبَ وقته، ولا أدلَّ على ذلك، مِن حفظه ألفيةَ العراقيِّ وهو يتوضأ، حيث كان يُسْكَبُ عليه الماءُ فيتوضأ، وآخر يقرأ عليه من الألفية، فيحفظ بيتًا أو بيتين، إلى أن انتهت الألفية، وحفظ بهذه الطريقة كتبًا أخرى، بل كان إذا سافر أمر من بجانبه أنْ يقرأ عليه كتابًا.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

نسأل الله تعالى أنْ يُبارك في أوقاتنا وأعمارنا، وأنْ يجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، إنه على كل شيء قدير.

وصَلَّى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍّ وآلِهِ وصحبِه أجمعين.





المَجلسُ السادس

حيَلُ الشيطانِ على ابن آدم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخَّار، وخلق الجانّ من مارجٍ من نار، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له يعلم الخفايا والأسرار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، واجَه في سبيل الله المصاعب والأشرار، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى إلٰه وأصحابه السادةِ الأخيار، ومن تبعهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهار.

أما بعد: **معاشر المصلين**: إنَّ الشيطانَ أخذ على نفسه، وأقسم على ربِّه، أنْ يُغْوي بني آدم ويُضلَّهم، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧].

وقد ذكر العلَّامةُ ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]، أنَّ الشَّياطِين يَتَحَيَّلُونَ على بَنِي آدَمَ، ويأتون إليهم بكلِّ طريقٍ ووسيلة، لِيُوقِعُوهُمْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ ثمانِ حيَلٍ وَلَا بُدَّ.

فلْنعرفْ هذه الوسائلَ والطرُق، التي من خلالها، أضلتِ الشياطينُ أكثر الناس، مِنْ لَدُنْ آدمَ إلى وقتنا.

الحيلةُ الأولى: أنْ يوقعوا بني آدم بالكفر والشرك.

فَإِنْ عَجَزَوا عن ذلك: حاولوا معه في **الحِيْلةِ الثانية**: وذلك بإلْقَائِهِ

(١) في أعلام الموقعين ٢/ ٢٩١.

فِي الْبِدْعَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وتنوِّعِ درجاتها، وهي لا تقلّ خطرًا عن الحيلة الأولى.

فَإِنْ تَمَّتْ حِيَلُهُمْ، كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ الْمَعْصِيَةِ، وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً؛ لأن البدعةَ أشدُّ من المعاصي والكبائر.

فَإِنْ عجزوا عن هَذِهِ الْحِيلَةُ، وَمَنَّ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ بِتَحْكِيمِ السُّنَّةِ وَمَعْرِفَتِهَا، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبِدْعَةِ: حاولوا معه في **الحِيْلةِ الثالثة:** وذلك بإلْقَائِهِ فِي كَبَائِرِ الذنوبِ وعظائِمها، وَيُزَيِّنُوا لَهُ فِعْلَهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيقُولُوا لَهُ: أَنْتَ عَلَى السُّنَّةِ، وَفُسَّاقُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَوْلِيَاءُ اللهِ، وَعُبَّادُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ أَعْدَاءُ اللَّهِ..

ثم يفتحوا له باب الرجاءِ وحُسْنِ الظنّ، ويقولوا له: لَمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ بِالْعِقَابِ أَحَدًا أَعْظَمَ، مِمَّنْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءَ، وَأَنْتَ لَا تَظُنُّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ، فَمَا لَك وَلِلْعِقَابِ؟ وَأَمْثَالُ هَذَا مِنْ الْحَقِّ، الَّذِي يَجْعَلُونَهُ حِيلَةً ووسيلةً، إِلَى الِاسْتِهَانَةِ بِالْكَبَائِرِ، وَأَخْذِهِ الأَمْنَ لِنَفْسِهِ.

فَإِنْ عجزوا عن هَذِهِ الْحِيلَةُ، وَعَظُمَ وَقَارُ اللهِ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، حاولوا معه في **الحِيْلةِ الرابعة:** وذلك بأنْ يُهَوِّنُوا عَلَيْهِ صَغَائِرَ الذنوب، وَيقولُوا لَهُ: ألم تعلم أنْ صغائرَ الذنوبِ تُمْحى وتُكفَّر بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ والْمُوبقات؟، حَتَّى كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ، وكأنك لم تعملْها.

فَإِنْ عجزوا عن هَذِهِ الْحِيلَةُ، وَخَلَّصَ اللهُ عَبْدَهُ مِنْهَا، نَقَلُوهُ إلى **الحِيْلةِ الخامسةِ:** وهي إشْغالُه بالْمُبَاحَاتِ وَالتَّوَسُّعِ فِيهَا، التي لا ثواب فيها ولا عقاب، فيَفْنى عمْرُه، وتُطوى صحائفُ أعمالِه، بلا أعمالٍ صالحة، ودرجاتٍ رفيعة، فأيُّ خسارةٍ حلَّتْ عليه.

فَإِنْ عجزوا عن هَذِهِ الْحِيلَةُ، وكان حافظًا لوقته شحيحًا به، يعلم مقدار أنفاسه، نَقَلُوهُ إِلَى **الحِيْلةِ السادسة:** وهي أن يُشْغلوه بالطَّاعَاتِ

الْمَفْضُولَةِ، لِيَشْغَلُوهُ بِهَا، عَنْ الطَّاعَاتِ الْفَاضِلَةِ الْكَثِيرَةِ الثَّوَابِ، فَيُعْمِلُ حِيلَتَهُ فِي تَرْكِهِ كُلَّ طَاعَةٍ كَبِيرَةٍ نافعة، إِلَى مَا هُوَ دُونَهَا وأقلَّ منها، فيأمُرُه بفعل الخير المفضول، ويحثُّه عليه، ويُحَسِّنه له، حتى يدعَ ما هو أفضلُ وأعلى منه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقلَّ من يتنبه لهذا من الناس، ولم يصل علمُه إلى أنَّ الشيطان، يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير، إما ليتوصَّل بها إلى بابٍ واحد من الشر، وإما ليفَوِّت بها خيرًا أعظمَ، وأجلَّ وأفضل من تلك السبعينَ بابًا»(١). اهـ.

فَإِنْ يَئِسَتِ الشياطينُ من الْحِيلَ السابقة، وَخَلَّصَ اللَّهُ عَبْدَهُ مِنْهَا، وكان العبدُ مؤمنًا ثابتًا، مطيعًا لله منيبًا، فهل تيأس الشياطينُ حينها؟ لا، بل يسعون معه في **الحِيْلَةِ السَّابعة**: وهي الغلوُّ والتَّشَدُّدُ في الدِين، ورميُ الآخرين بالتقصير، ويصلُ الحال في كثيرٍ منهم، إلى ازْدراء الآخرين، من العلماءِ والدعاةِ والمصلحين، وزاد بعضُهم في التشدُّدِ فكفَّرهم، وقاتل المسلمين وسفكَ دمائَهم، كما حصل للخوارج وأتْباعِهم.

فَإِنْ عجزوا عن هَذِهِ الْحِيلَةُ، لَمْ يَبْقَ لَهُمْ إلَّا حِيلَةٌ وَاحِدَةٌ، وهي **الحيلةُ الثامنةُ** والأخيرة: وذلك بأنْ يُسلطُوا عليه أَهْلَ الْبَاطِلِ، وَالْبِدَعِ وَالظَّلَمَةِ عَلَيْهِ، يُؤْذُونَهُ في عِرْضه وبدنه ودينه.

نسأل الله تعالى، أنْ يجنبنا مكائدَ الشيطان ووساوسَه، وحيَلَهُ ومكره، وأنْ يهدينا سواءَ السبيل، وأنْ يُعيننا على إصلاحِ أنفسنا، ودحرِ الشيطان عنَّا، إنه على كل شيء قدير.

وصَلَّى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍّ وآلِهِ وصحبِه أجمعين.

---

(١) بدائع الفوائد، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ـ عادل عبد الحميد العدوي ـ أشرف أحمد: ٢/ ٤٨٥.



المَجلسُ السابع

سلامة الصدر

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إلٰه وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

إخواني: ما أجمل أنْ يكون الإنسانُ سليمَ الصدرِ تجاه المسلمين، نقيَّ الفؤادِ مِن الغلِّ والحقد، يَعْذُرهم ولا يقف عند زلاتهم وأخطائهم، يلتمس الأعذار لهم، ويحمل ما يبدر منهم على أحسن محمل.

والحديث عن هذا الموضوع يطول، ولكن سأقتصر على موقفين عظيمين.

الموقف الأول: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ مع مَن أخطأ عليه، وهم الذين تسببوا في سجنه والتضييق عليه.

فقد كان بعضُ أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثلَه لأعدائه وخصومه، ولم يكنْ يدعو على أحدٍ منهم قط، بل كان يدعو لهم.

وجاءه تلميذه ابن القيم ﵀ يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهره وتَنكَّر له واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمرٌ تحتاجون فيه إلى مساعدةٍ إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسرُّوا به

ودَعوا له، وعظَّموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه[١].

واستفتى السلطانُ الشيخَ في قتل بعض القضاة؛ بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأنهم قاموا عليك وآذوْك، وأخذ يحُثُّه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم، فأخذ في تعظيم القضاةِ والعلماء، وينكرُ أنْ ينالَ أحدًا منهم سوء.

فقال له: إنهم قد آذوك؛ وأرادوا قتْلَك مرارًا، فقال الشيخُ: من آذاني فهو في حِلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فاللهُ ينتقمُ منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلُم عنهم وصفح.

قال: وكان قاضي المالكية ابن مخلوف ـ وهو من أكبر وأنكى أعدائه وخصومه ـ يقول: ما رأينا مثل ابنِ تَيْمِيَّةَ، حرَّضْنا عليه فلم نَقْدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجَجَ عنا[٢].

سبحان الله! يُنافح ويُدافع عن أعدى أعدائه! وبعضُنا لا يزال كارهًا ومُبغضًا لأخيه أو قريبه، لأسباب دنيوية أو خلافات شخصيّة.

الموقف الثاني: موقف الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ مع المخالفين له في العقيدة، الذين تسببوا في حبسه وضربه وحرمانه من نشر العلم.

فَإِنَّه قَدْ آذاه الْجَهْمِيَّة، الَّذِينَ دَعَوْهُ إِلَى القولِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَنَفْيِ الصِّفَاتِ، وَامْتَحَنُوهُ وَسَائِرَ عُلَمَاءِ وَقْتِهِ، وَفَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الَّذِينَ لَمْ يُوَافِقُوهُمْ عَلَى مذهبهم الباطل بِالضَّرْبِ وَالْحَبْسِ وَالْقَتْلِ، وَالْعَزْلِ عَنْ الْوِلَايَاتِ، وَقَطْعِ الأَرْزَاقِ.

ثُمَّ إنَّ الإِمَامَ أَحْمَد لَمَّا رُفعت المحنة دَعَا لِلْخَلِيفَةِ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ ضَرَبَهُ

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٤٥.
(٢) البداية والنهاية ١٤/ ٥٤.

وَحَبَسَهُ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وحلّلهم مِمَّا فَعَلُوهُ بِهِ مِنْ الظُّلْمِ، وَالدُّعَاءِ إلَى الْقَوْلِ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ[(١)].

إخواني: قارنوا بين فعل هذا الإمام الجليل مع خصومه في العقيدة، الذين لم يكتفوا بمخالفته في عقيدته ومذهبه، بل تعدّوا عليه بالضرب والسبّ والحبس، ومنعوه من الدروس ونشر العلم، وبين حال الكثير من الناس، الذين لم يُسامحوا إخوانهم في أمور تافهةٍ، أو مظلمةٍ قد لا تكون مقصودة.

واعلم يا من قاطعت أخاك، أنّ الجزاء من جنس العمل، فمن حاسب الناس وناقشهم على كلّ صغيرة وكبيرة، حاسبه الله وشدّد عليه يوم يلقاه، ومن أبى أنْ يُسامح المسيء ويتجاوز عن المعسرين، قد لا يتجاوز الله عنه يوم تذهل كلّ مرضعةٍ عما أرضعتْ، وتضع كلّ ذات حمل حملها، يوم تشيب رؤوس الولدان، ومن هولِ ما يحدث تقف حيران، وتشخص العينان، ويأتي الجبار سبحانه للفصل بين العباد، وتُقاد النارُ بالسلاسل، ويُبعث الناس من قبورهم، ويُنادى حينها بنداء يسمعه الجميع: ليقمِ من أجره على الله، فلا يقوم إلا العافين عن الناس، فقاموا لْيدخلوا الجنة التي غرسها بيده، وهيأها لأفضل عبادِه، ما موقفك وأنت لست منهم، بل مت وقلبك مليء بالحقد والكراهية لأحد المسلمين، والأشنعُ لو كان من أقرب الأقربين؟

ما موقفك وأنت ترى الناس يقومون أفواجًا، فتقوم لتذهب معهم فتصدّك الملائكة وتقول: هل عفوت عمَّن ظلمك؟ هل مت وأنت سليم الصدر، هل مت وأنت لم تهجر أحدًا من المسلمين؟

---

(١) يُنظر: فتاوى شيخ الإسلام ١٢/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

فتقول: لا والله، لم أُسامحْ فلانًا الذي ظلمني، ولم أعف عن الآخر الذي آذني، ومت وأنا أحمل كرهًا لفلان، وهجرت أخي وابن عمي وصديقي.

فتقول: انظر بابًا غير هذا فلست أهلًا له.

اللَّهُمَّ مَن عَفا مِنَّا عن كلِّ المسلمين فاعف عنه، ومَن تجاوز عنهم فتجاوز عنه، ومن ترك هُجرَانهم فقرِّبْه إليك في الدنيا والآخرة.

اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عنا، الله اجعل قلوبَنَا سليمةً على المسلمين يا رب العالمين.

وصَلَّى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍّ وآلِهِ وصحبِه أجمعين.





المَجلسُ الثامن

ما أجمل رمضان وما أشدّ فراقه

الحمد لله الذي وفَّق من شاء لطاعته بفضله ورحمته، وحَرَمَ من شاء بعدله وحكمته، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل إنعامه وتمام نعمته، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، يَقبل من المحسن إحسانَه، ولا يُقنِّط المسيءَ بمعصيته وإساءته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمامُ الطائعين، وقدوة العاملين، وأزكى من تعامل مع ربِّ العالمين، صلى الله وسلم عليه، وعلى إلٰه الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرِّ الميامين، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين.

أما بعد: **إخواني**: عن قريبٍ سنُودّعُ شهر رمضان، وقلوبُ المؤمنين العابدين تعتصرُ حسرة وأَلَمًا، حيث سيُفارقون شهرًا ذاقوا فيه طعمَ القرب من ربهم، ذاقوا حلاوةَ التواصلِ مع أقربائهم، ولذةَ الاجتماعِ عند إفطارهم، وأنسَ العبادة في صلاتهم وقيامهم، ومتعةَ الدعاء حال تضرعهم وابتهالهم.

سيُفارقون شهرَ رمضان، سيُفارقون شهر تلاوة القرآن، شهر القرب والأنس بالرحمٰن، سيُفارقون شهرًا تلذذوا فيه بالعبادة والطاعة، ووجدوا فيه السكينة والطمأنينة.

إنها لذة العبادة والطاعة في قيام رمضان، بين يديْ الْمُنعم المنَّان، ما ألذها من عبادة، وما أحلاها من طاعة، كم أطربتْ آذانَهم آياتُ الحكمة والْمَوعظة، وشنَّفتْ أسماعَهم آياتُ الشفاء والرحمة، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فمن لم يجد في هذه الآياتِ شفاءً لما في صدره، من شهوات وشبهات وضيق: فليراجع إيمانه، وليُجَدِّدْ علاقته بربه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

إنَّ الموعظةَ والشفاء، والهدى والرحمة، لا تكونُ إلا للمؤمنين بالله حقًّا، المنقادين له صدقًا، لمن رضي بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ رسولًا، ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فيا مَن وجدتَّ حلاوةَ الطاعة في رمضان، يا من تلذذت بسماع وتلاوةِ القرآن، وأحسست بقربٍ من صاحب الفضل والإحسان، حُقَّ لك أن تفرح وتستبشر، هنيئًا لك والله ما نِلْتَه وذقته، وقد حُرمه الكثيرون، فهو خيرٌ وأعظمُ مما جَمعه أهل الدنيا الفانية، والعاجلة الحقيرة.

ما أعظم شهر الرحمة والمغفرة، فكم غفر الله فيه من ذنب، وستر فيه من عيب، وأقال فيه من عثرة، وتجاوز فيه من زلة.

ما أعظم شهر التوبة والإنابة، فكم تاب فيه من العُصَاةِ والتَّائهين، وكم اهتدى فيه من الْمُجرمين والْمُنحرفين، وكم سُكبت فيه من دمعة، وكم هُجرتْ فيه من معصية.

كم جلس الصَّادقون أعْقاب الصلوات، يُرطِّبون ألسنتهم بتلاوةِ الآياتِ، كم هي لحظاتٌ إيمانيَّةٌ سعيدة، وأوقاتٌ فاضلةٌ مُمْتِعة.

اسْألوا الْمُعتكفين عن سعادتهم أيَّامَ اعتكافهم، وخلوتِهم بربهم، ومُناجاتِهم لخالقهم، وهم لائذون ببيته، واقفون ببابه، ولسانُ حالهم يقول: لن نُغادر مكاننا إلا بإدراك ليلة القدر، وغفران الذنب والوزر، لن نُغادر مكاننا إلا إذا عفوت عنا، وتجاوزت عن تقصيرنا، أيُّ لحظاتٍ

أعظم من هذه اللحظات، وأيُّ لذَّةٍ أعظم من هذه النّفحات.

إخواني: مَن صام مِنكم ما مضى مِن رمضانَ كاملًا فلْيحمد الله تعالى، على أنْ منَّ عليه بصيامه وهو بصحَّةٍ وعافية، ومَن فاته شيءٌ منه لعذرٍ طرأ عليه، أو مرضٍ ألمّ به: فلْيَبْشِرْ بأنَّ أجره قد كُتب كاملًا، قَالَ ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**» رواه البخاري[1].

واعلموا أنّ الأعمال بالخواتيم، فاختموا هذا الشهر العظيم بتوبة صادقة، ودعوة خالصة، وأعمال صالحة، فلا زال في الشهر بقيّة، وباب الأمل والرجاء مفتوح.

نسأل الله تعالى، أن يعيد علينا رمضانَ أزمِنةً مديدة، وأعوامًا عديدة، ونحن بصحة وعافية، ونسأله سبحانه أن يتقبل منَّا الصلاة والصيام، وأن يتجاوز عن التقصير والآثام.

اللهُمَّ وفقْنَا لِمَا فيهِ صلاحُ دينِنا ودنيانَا، وأحْسِنْ عاقَبَتَنا وأكْرِمْ مثَوانا، واغفر لنَا ولوالِدِينَا ولجميع المسلمينَ برحمتِك يا أرحمَ الراحمينَ.

وصَلَّى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍّ وآلِهِ وصحبِه أجمعين.



(١) (٢٩٩٦).



المَجلسُ التاسع

ختام رمضان وداعه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى إلٰه وأصحابه أجمعين.

إخواني: ها هو رمضان قد بدأت أيامه تنقضي، وصحائف الأعمال التي فيه تنطوي، وها نحن وإياكم نودع شهر الجود والبر والرحمة، ها نحن نودع لحظات الأنس واللذة، والألفة والسعادة في قيامه وصيامه، ونودع تلك الصورة الجميلة، والنَّضرة البهية، عندما تجتمع الأسرة على مائدة واحدة في فطورهم وسحورهم، ما أجمل وما أروع حال المصلين وهم وقوف بين يدي الجبار الغفار، منصتين لكلامه، مقتدين بسُنَّة رسوله ﷺ.

يا نفسُ فاز الصالحون بالتقى ... وأبصروا الحق وقلبي قد عمي
يا حُسْنَهُم والليل قد جنَّهم ... ونورهم يفوق نورَ الأنجم
ترنَّموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالتَّرنُّم
قلوبهم للذكر قد تفرغت ... ودموعهم كلؤلؤٍ منتظِمِ
ويحك يا نفس ألا تيقظٌ ... ينفع قبل أن تزل قدمي

إخواني: ماذا أدرك من فاته خَيْرُ رمضان؟ فيا خسارةَ مَن أدركه فيه الحرمان! كم بين من حظه فيه القبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران؟

رُبّ قائم حظه من قيامه السهر، وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش.

رُوي عن علي ﷺ أنه كان ينادي في آخر ليلة من رمضان: يا ليت شعري مَنِ المقبول فنهنّيه؟ ومَنِ المحروم فنعزيه؟

فهنيئًا لك يا من عمرت هذا الشهر بقيام رمضان، هنيئًا لك يا من كفّ عينه عن مشاهدة الحرام، وكفَّ لسانه وأذنه عما يُغضب الواحد الديان، هنيئًا لك يا من وصلت رحمك، وبررت بوالديك، وصفَّيت قلبك من الغل والحقد والحسد والشحناء.

ونقول لمن ضيَّع رمضان بالمسلسلات الهابطة، والأغاني الماجنة، ونقول لمن ضيَّع القيام، وتناسى القرآن، ولها مع الأصحاب والخِلَّان: أحسن الله عزاءكم، وجبر مصيبتكم.

فيا لها من خسارة! ويا لها كم مصيبة!

من فاته الزرع في وقت البذار فما تـراه يـحـصـد إلا الـهـم والـنـدما

فلا إلٰه إلا الله! ماذا ستقول لله الواحد القهار ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ماذا ستقول للواحد الأحد عندما يقول لك: يا عبدي لقد فسحت لك في عمرك حتى أدركت رمضان، فماذا عملت فيه؟ ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] فأعد للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا.

ولكن أخي لا زال في الوقت إمكان، ولا زال الباب مفتوحًا، فقد

ثبت في «صحيح البخاري»؛ أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالخواتيم**» فها هو شهر الرحمة والمغفرة، ها هو شهر العتق من النيران، قد حان رحيله، فلنختمه بتوبة صادقة وأعمال صالحة، فإن الربَّ تبارك وتعالى يُعطي على القليل كثيرًا، وأبشر بجائزة عظيمة، ومنحة كريمة إن صدقت مع الله. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] فما أرحمه ﷻ وما أكرمه، فلم يمح ذنوب التائبين فقط، بل أبدل مكان كل سيئة عملها حسنة، فهل بعد هذا كله تتأخر يا عبد الله بالتوبة والرجوع إليه؟!! ولك يا من هجرت أحدًا من المسلمين ـ إنْ عفوت وأصلحت ـ جائزة خاصة من الله تبارك وتعالى، وهي قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠]، ووالله لو أن ملكًا من الملوك تعرف صدقه وأمانته وكرمه قال لك: إن سلَّمت على فلان وعفوت عنه فلك مكافئة عظيمة عندي، أكنت تتردد في العفو عنه والسلام عليه؟ فما بال أكرم الأكرمين، وَمن خزائنه مَلأً، يعدك بأن أجرك على الله، وهو لا يخلف الميعاد.

ولْتتم فرحتنا بالعيد بتآلف القلوب، واجتماع الأسرة بكاملها بقلوب صافية، وأفئدة من الغل والشحناء خالية.

اللَّهُمَّ اختم لنا هذا الشهر الكريم بمغفرة من عندك، تمحو عنا ذنوبنا، اللَّهُمَّ أعتق رقابنا من النار يا ربَّ العالمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبهِ وأتْبَاعهِ إلى يوم الدِّين.

۞ ۞ ۞



المَجلسُ العاشر

فرحةُ العيد عند المسلمين

الحمد لله الذي تفضَّل علينا بإكمال شهر رمضان، شهر الرحمة والغفران، فيسَّر لنا فيه بالصيام والقيام.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، مالكُ الدنيا ويومِ الدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي هدى من شاء من الخلق إلى الصراط المستقيم، فأنقذهم من النار وأكرمهم بدار النعيم، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى إلٰه وأصحابه صلاة وسلامًا تامّين إلى يوم الدين.

إخوة الإيمان: لقد منَّ الله تعالى علينا، وحبانا وأغنانا وأكرمنا، فسهَّل علينا صيامَ شهرٍ كامل، ويسَّر علينا قيام ليلِه بمحض فضله الشامل، فنحمده سبحانه ونشكره، ونسأله شكرَ نعمته، ودوام مِنْحَتِه.

إخواني: أعيادُنا أهلَ الإسلام، عيدانِ مُختلفانِ عن سائر أعياد البشر، ليست أعيادًا لِمُناسباتٍ ماديَّة، وأحداثٍ تاريخيَّةٍ، ولا بِمَولِدٍ أو موت فلانٍ، ولكنهما عيدان سماويَّان، شُرعا لنفرح بإكمال الصيام والقيام، ونفرحَ بإتمام نسك الحج، أعيادٌ مرتبطة بديننا، ليست أفراحًا مجرَّدة، ولكنها أعيادٌ شرعيةٌ مُنضبطة نُؤْجَر ونُثاب عليها.

في عيدنا تجديدُ اللقاء، وصلةُ الرحم، وتقوية أواصر المودَّة بين الإخوة، وزيارة المريض، وتفريجٌ لهمِّ المهمومين وكرب المكروبين والتيسير على المعسرين، لتكون فرحة العيد فرحةً شاملة للجميع.

أفراحنا ليست تحلّلًا من قيودِ الشرع، ولا طيًّا لبساط العبادة، ولا هدمًا لبناء الأعمال، ولكنها أعيادٌ شرعية منضبطة بضوابط الشرع، إذًا فلنحذر أن نبارزَ الله بالعصيان في هذا اليوم.

إخواني: العيدُ هو يومُ مُواساةِ الفقراء، فيواسون محتاجيهم، ويعود غنيُّهم على فقيرهم.

العيدُ يومُ عيادةِ المرضى، وإفشاءِ السلام، وغرسِ الحبِّ والوئام.

العيدُ هو يوم زيارةِ الأقارب والأصدقاء، وصلةِ الأرحام، فهذا اليومُ من أعظم الأيام عند الله، فلْنعمل فيه بما هو أهله، ولْنقم فيه بما تسْتحقُّه عظمته ومكانته.

العيدُ هو يوم صفاءِ القلوب، وطهارةِ النفوس من الأحقاد والضغائن، هو يومُ نسيان الأيام المؤلمة، والمواقف المحزنة.

فيا مَن قطعت رحمك، يا من فارقت أحدًا مِن أقاربك وأصحابك، يا مَن تجرَّعت مرارةَ البغضاء والشقاق، والتقاطعِ والفراق، أمَا كفتك سنواتُ القطيعة والهجران، أما آن لك أن تتوب إلى الله من زلَّتك العظيمة، وجريمتك الشنيعة.

اسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦] أين حقُّه وأنت قد قطعته وهجرته؟

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠] ألست بهجرانك قد خالفت أمره وعصيته؟.

وقد جاء في «الصحيحين»، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكَ لَكِ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«اقْـرَءُوا إِنْ شِـئْـتُـمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٤]» متفق عليه[(١)].

فقاطعُ الرحم قد لعنه الله، وأصمَّ سمعه عن قبول الحق والخير، وعن قبولِ النصيحة في صِلة رحمِه، وأعمى بصيرته عن التَّفكر في بشاعة فعله.

ولْنحرص على الاجتماعاتِ التي تُقيمُها الأُسرُ لأبنائها، فهي اجتماعاتٌ مُباركةٌ، يجتمع فيها أقاربُ لم ير بعضُهم بعضًا من سنوات، وإنه من الحرمان العظيم، والخلل الجسيم، أنْ يتقاعس البعض عن حضور هذه الاجتماعات الأُسريّة، كيف يحرم نفسه اجتماعًا يصل فيه رحمه، ويتعرف فيه على أقاربه، ويُبرئ من خلاله ذمته.

نسأل الله ألا يجعلنا من القاطعين ولا من المتشاحنين، وأنْ يُعافينا مما ابتلاهم، وأنْ يُصلحهم ويهديهم.

اللَّهُمَّ اجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا، وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا، ولا تجعل فينا ولا من بيننا شقيًّا ولا محرومًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبهِ وأتْبَاعهِ إلى يوم الدِّين.



(١) البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٦٦٨٢).



«الخاتمة»

هذا ما فتح الله تعالى بمنّه وكرمه وجوده وعطائه، فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى إلٰه وصحبه أجمعين.

فرغتُ منه يوم الثلاثاء الموافق للعاشر من شهر شعبان، من عام سبعٍ وثلاثين بعد الأربعمائة والألف.



«الفهرس»

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة